



**النظم الادارية والاقتصادية في عصر الولاية في
الأندلس (95 – 138 هـ / 714 – 756 م)**

قدمت من قبل :

عبد الغني رمضان فرج

تحت إشراف :

د . حبيب عز الدين

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التاريخ الإسلامي

جامعة بنغازي

كلية الآداب

نوفمبر 2017

Copyright 2017 Reserved. No part of this message is allowed to be copied Electronic or mechanical scanning or scanning without permission Written by the author or the Department of Graduate Studies and Training University of Benghazi.

حقوق الطبع 2017 محفوظة . لا يسمح اخذ اي جزء من هذه الرسالة على هيئة نسخة
الالكترونية او ميكانيكية بطريقة التصوير او المسح من دون الحصول على إذن
كتابي من المؤلف او إدارة الدراسات العليا والتدريب جامعة بنغازي .



النظم الادارية والاقتصادية في عصر الولاة في الأندلس

(95 - 138 هـ / 714 - 756 م)

قدمت من قبل

عبد الغني رمضان فرج

لجنة الاشراف والمناقشة

.....	التوقيع	مشرفاً رئيسياً	د. حبيب مصطفى عز الدين
.....	التوقيع	ممتحناً داخلياً	د. عبد الرحمن صالح بكار
.....	التوقيع	ممتحناً خارجياً	د. عبد الفتاح رجب بولبيض

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

التاريخ الاسلامي

مدير ادارة الدراسات العليا و التدريب

عميد كلية الآداب

الآية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَنْ جَاءَكَ فَإِنَّمَا يَجِئُكَ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ عَنِ

الْعَالَمِينَ .

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ

سورة

المنكحوت

الآية رقم (5)

الإهداء

إلى كل من وقف معي وسامعني وكان لي عوناً لأصل إلى

ما وصلت إليه من نجاح

إلى -

أبي - وأمي - وزوجتي - وأختي - وأصدقائي

الشكر والتقدير

أَتَقَدِّمُ بِالشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ إِلَى كُلِّ مَنْ سَاهَى فِي

» إِمْدَادِي الشُّكْرِ »

» جَيْبِ عِزِّي »

» عِلْمِ الشَّامِ »

» عِلْمِ عِزِّي »

» صَالِحِ عِزِّي »

» سَائِلِ عِزِّي »

عِلْمِ عِزِّي عِلْمِ عِزِّي عِلْمِ عِزِّي قَامُوا بِهَا مِنْ أَيْدِي عِزِّي

الدراسة ، فَلَهُمْ مِنْ جَمِيعِ عِزِّي الشُّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ .

الصفحة	الموضوع
3	الآية.....
4	الإهداء.....
5	الشكر والتقدير.....
10	المقدمة.....
	الفصل الأول
16	أوضاع الأندلس قبيل عصر الولاة.....
17	أولاً - حالة إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي.....
17	أ- الأوضاع العامة في إسبانيا.....
20	ب- طبقات المجتمع الإسباني.....
23	ثانياً - الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس.....
23	أ- مقدمات الفتح الإسلامي.....
26	ب- مراحل الفتح الإسلامي.....
	الفصل الثاني
39	النظم الإدارية.....
40	أولاً : النظم الإدارية في الأندلس قبيل فتح البلاد.....
48	ثانياً : النظم الإدارية في الأندلس خلال عصر الولاة.....
66	أ- تقسيم الأندلس في المصادر الإسلامية.....
69	ب- الاتجاه العربي في التقسيم الإداري.....
	الفصل الثالث
70	النظم الاقتصادية.....
71	أولاً - الزراعة.....
71	أ- المناطق الزراعية.....
75	ب- مصادر المنتجات.....
77	ج - أشهر المزروعات.....
82	ثانياً - الصناعة.....

82	أ- الموارد ذات العلاقة بالصناعة المتوفرة في المناطق
83	ب- اشهر الصناعات
86	ثالثاً - التجارة
87	أ- الاتجار والمناجزة
95	ب- الاسواق
97	ج - طرق التجارة
100	د- التبادل التجاري
	الفصل الرابع
102	تطور النظام الاداري والاقتصادي في أواخر عصر الولاة
103	اولاً - تطور النظام الاداري
111	ثانياً - تطور النظام الاقتصادي
125	المصادر والمراجع
141	الملخص

ملخص

فتح المسلمون الأندلس وظلوا فيها أكثر من ثمانية قرون ، وتركوا خلال تلك الفترة بصماتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية .

لقد تناولت في هذه الدراسة الفتح العربي لبلاد الأندلس ، ومن خلال ذلك ذكرنا الأسباب الحقيقية وراء هذا الفتح والعوامل المساعدة لذلك ، كما ذكرت مقدماته ومراحله ثم نتائجه كما نبهت في أثناء ذلك أن الفتح العربي لبلاد الأندلس كان أمراً طبيعياً وقد تم ذلك بعد أن تهيأت الظروف والأوقات الملائمة ، كل ذلك قمت بذكره من خلال الفصل الأول الذي أردته أن يكون فصل تمهيدي لبقية فصول الدراسة .

وعند حديثنا عن النظم الإدارية والذي خصصت له الفصل الثاني من هذه الدراسة تحدثت بالتفصيل عن النظم الإدارية التي سبقت دخول المسلمين إلى الأندلس مثل النظام الإداري الروماني والتقسيمات الإدارية الرومانية وكيف أخذ الغزاة الجدد القوط عنهم هذه التقسيمات وسارو عليها مع بعض التعديلات البسيطة ، كذلك قمت بالحديث عن النظم الإدارية خلال عصر الولاة في الأندلس إذ أنهم لم يغيروا شيء من تلك التنظيمات التي سبقت دخولهم إلا أشياء بسيطة ، ولكنهم ساروا على تلك التقسيمات الإدارية كما فعل القوط قبلهم ، كذلك في هذا الإطار قمت بالحديث عن التقسيمات الإدارية في المصادر الإسلامية خلال عصر الولاة في الأندلس .

ثم انتقلت بالحديث عن النظم الاقتصادية خلال عصر الولاة في الأندلس بجميع جوانبه الزراعية والصناعية والتجارية ، وقد رأينا في هذا المجال كيف استطاع المسلمون تنظيم أمور البلاد رغم قصر الفترة الزمنية لعصر الولاة وأخذت الزراعة تتشأ وتزدهر واستطاع المسلمون العرب إثبات وجودهم في مجالي الصناعة والتجارة سواء داخل الأندلس أو خارجها المتمثل في التبادل التجاري .

وعندما انتقلت بالحديث عن تطور النظم الإدارية والاقتصادية في النصف الثاني من عصر الولاة في الأندلس ذكرت النظم الإدارية والتطور التدريجي الذي حدث له على أيدي الولاة الأوائل ثم اخذ ينضج شيئاً فشيئاً حتى اتضحت معالمه في أواخر عصر الولاة قبيل دخول

عبد الرحمن ابن معاوية " الداخل" كذلك قمت بالحديث عن تطور النظام الاقتصادي بجميع جوانبه الذي برز بشكل واضح في أواخر عصر الولاة في الأندلس .

ويمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في النقاط التالية :

أولاً : أن هذا العصر يمثل الأساس التاريخي لكل الدراسات والأبحاث الأندلسية ، نظراً لما تركه من آثار ظلت فاعلة في ما أعقبها من أحداث .

ثانياً : نجم عن بعد الأندلس عن دار الخلافة في دمشق تراخ إداري أدى في كثير من الأحيان إلى اتخاذ قرارات غير صائبة من قبل بعض الولاة ، ناهيك عما كان عليه بعضهم من سوء إدارة ، ولعل ما فعله عمر بن عبد العزيز سنة (99هـ ، 100 م) كان أهم تدخل قامت به دار الخلافة في الشأن الأندلسي

ثالثاً : إن اشتغال المسلمين بخلافاتهم القبلية والعرقية أدى إلى إضعاف شوكتهم ، وأغرى بهم أعداءهم مما كان مقدمة لاندحارهم فيما بعد على يد المقاومة الإسبانية التي أخذت قوتها تتعاظم يوماً بعد يوم مستغلة تلك الخلافات والانقسامات التي كانت تسود الأندلس في هذا العصر المبكر من الوجود الإسلامي فيها.

رابعاً : إن هذا العصر لم يكن عقيماً فقيراً بقدر ما تصوره بعض المصادر التاريخية ، فقد شهد عدداً من الإنجازات على الصعيدين الإداري والمالي ، إلى جانب ما كان فيه من الفتوحات والنشاطات العسكرية وما اقتضته من إنشاءات عمرانية تمثلت في القلاع والحصون

خامساً : لا يمكن للباحث في تاريخ هذه الفترة أن يهمل دور العناصر السكانية التي نجمت عن الفتح الإسلامي ، فقد لعبت دوراً هاماً ، وشاركت بفاعلية في جميع الأنشطة والأحداث التي أصابت المسلمين آنذاك .

سادساً : إن انشغال الخلافة الأموية بأمورها الداخلية ، وصراعها في آخر أيامها ، مع الدولة العباسية ، أدى بها إلى إهمال القطر الأندلسي ، والاشتغال عن رعايته بتلك الخلافات والصراعات التي أصابتها في آخر عهدها .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق والمرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد

فأن أهمية هذه الدراسة تكمن في أن الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ الأندلس لم تول عصر الولاة عناية خاصة مركزة ، بحيث تتقصى أوجه الحياة المختلفة ، فجأت هذه الدراسة لتتناول تلك الحقبة بالبحث الجاد والنظر المعمق لاستظهار جميع أوجه الحياة مما يمكن رصده .

وما يكسب هذه الدراسة أهمية خاصة أن الأوضاع في تلك الحقبة لم تكن قد استقرت لتأخذ نمطا ثابتا ينظم الحياة العربية الإسلامية في الأندلس ، فقد كان الوقت مبكرا لتحقيق ذلك نظرا لما تخلل تلك الفترة من اضطرابات وقلقل ، وذلك شأن كل فترات التأسيس والفتح في أول عهده ، مما انعكس أثره على الأحداث التي شهدتها الأندلس من بعد ذلك .

يعد عصر الولاة من العصور الأساسية المهمة في تاريخ الأندلس لأنه يتناول الفترة الأولى التي دخل فيها المسلمون إلى هذه البلاد واستقروا فيها ، وأسسوا كيانهم السياسي الذي أستمروا نحو ثمانية قرون ، وعلى الرغم من أن هذا العصر أستغرق أقل من نصف قرن الا انه يعد الركيزة الأولى التي قامت عليها التنظيمات الإدارية والاقتصادية التي حددت المجتمع الأندلسي وطبعته بطباعها التي أستمروا عليها طيلة وجود المسلمين في الأندلس وأسهم في تطوير الفكر لهذه البلاد التي شهدت قيام أرقى حضارة إنسانية على يد المسلمين ، ورغم العديد من الدراسات التي صدرت حول عصر الولاة في الأندلس ، فإن معرفتنا حول هذه المرحلة المهمة من تاريخ الأندلس مازالت تتطلب الكثير من الجهود من أجل إقامة دراسة متوازنة تتناول الجوانب الإدارية والاقتصادية لعصر الولاة في الأندلس .

من المعروف أن الحضارة العربية الإسلامية بمختلف عصورها التاريخية حافلة بكثير من الدلالات على مدى ما وصل إليه أبناء هذه الحضارة من رقي وتطور وازدهار في كل مجال

ومكان فالدارس لفترة عصر الولاية في الأندلس تستوقفه كثير من الحقائق الدالة على هذا ومن بين الدلائل المهمة على مدى رقي وتطور أبناء هذه الحضارة هو الاهتمام بالأنظمة الإدارية

وكذلك الاهتمام بالاقتصاد بجميع جوانبه الصناعية والزراعية والتجارية ، كما اهتموا بجوانب أخرى وحاولوا صهر بعض فئات المجتمع الموجودة في ذلك الوقت في بوتقة واحدة تحت ظل راية المسلمين .

أن الحياة الإدارية والاقتصادية خلال عصر الولاية في الأندلس من الدراسات القليلة والنادرة التي لم تأخذ حقها الطبيعي كدراسة تاريخية وافية ، إذ أن أغلب الدراسات تناولت الجوانب السياسية والعسكرية ولا توجد على حسب علمي دراسة عربية وافية اهتمت بهذه الجوانب في تلك المدة المهمة من تاريخ الدولة الإسلامية في الأندلس .

لقد نتج عن الفتح الإسلامي للأندلس عدة نتائج من أبرزها ظهور عناصر سكانية جديدة منها العرب والبربر ، والمسالمة ، والمولدون ، والمستعربون ، واليهود ، وغيرها ، لذلك فإن دراسة هذه العناصر السكانية ودور كل منها في صياغة الأحداث ضرورية ، لأنها تؤدي إلى فهم أثرها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية إبان عصر الولاية وما بعده .

أسباب اختيار الموضوع :-

وقد دعيتي إلى اختيار هذا البحث مجموعة من الأسباب تنصدها الرغبة في دراسة هذه الفترة من تاريخ الأندلس ، مما تكونت لدي مذكنت طالبا في المرحلة الجامعية الأولى يضاف إلى ذلك أن هذا العصر يعد من أهم عصور التاريخ الأندلسي ، لأنه ظل يؤثر على مجرى الأحداث في الأندلس إلى أن طرد المسلمون منها على أيدي الإسبان .

أولاً – الأسباب العلمية :

- 1 – الموضوع لم يأخذ حقه من الدراسة ولهذا سأحاول إبرازه بصورة واضحة .
- 2 – محاولة دراسة الحياة الإدارية والاقتصادية خلال عصر الولاة في الأندلس والتطور الذي وصلت إليه .

ثانياً – الأسباب الذاتية :

- 1 – رغبتى الشديدة في دراسة المواضيع الحضارية بوجه عام والحضارة الإسلامية بوجه خاص.
- 2 – التعمق في دراسة موضوعات الإدارة والاقتصاد لما تحمل من أهمية في النتائج والمضمون.
3. الرغبة في تحقيق غاية طالما حلمت بها وهي أن أحصل على درجة الماجستير.

أهمية الدراسة :-

تعد دراسة الحياة الإدارية والاقتصادية في عصر الولاة في الأندلس كأحد الموضوعات المهمة التي يجب الخوض فيها وإبرازها بصورة أوضح وفك معضلات ربما لم يسبق الوصول إليها من الناحية التاريخية ، فخطرت في ذهني كباحث تاريخي إن التمس كل جديد لإبرازه وإخراجه ليرى النور ، وتأتي أهمية الدراسة في كونها دراسة مستقلة للحياة الإدارية والاقتصادية بوجه خاص ولم تأت ضمن دراسة شاملة لعصر الولاة في الأندلس ، وإنما جاءت للتعريف بالحياة الإدارية والاقتصادية بشكل مباشر .

الهدف من الدراسة :-

أن هذه الدراسة تهدف إلي ما يلي

- 1 – التعريف بالحياة الإدارية والاقتصادية خلال عصر الولاة في الأندلس .
- 2 – معرفة المزيد حول اهتمام المسلمين بالأنظمة الحضارية وإظهار خبراتهم في كل مجال من المجالات .
3. محاولة للكشف عن النقاط المبهمة التي سبق الخوض فيها لمعرفة معرفة جيدة واستباطها وتحليلها بطريقة أكثر وضوح

الدراسات السابقة :-

لم يتعرض لدراسة هذا البحث أحد من قبل حسب علمي ، فقد اقتصر جهود الباحثين في هذا الباب على دراسة تاريخ الأندلس وحضارتها ، وتلك الدراسات لا تكاد تخلو من الحديث الجزئي عن هذا الموضوع وخصوصا ما كان من حديث عن العصور الأندلسية المختلفة منذ العصر الروماني حتى طرد المسلمين من الأندلس، واهم الدراسات التي تناولت التاريخ الأندلسي بالبحث والدراسة واحتوت على إشارات جزئية عن هذا الموضوع هي :-

1 – الشطشاط ، على حسين

تاريخ الإسلام في الأندلس (القاهرة ، دار قباء الحديثة ،) 2009.

قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة تحدث فيها عن مقدمات الفتح الإسلامي للأندلس وأول العصور في الأندلس وهو عصر الولاة ، ثم تناول عصري الأمانة والخلافة في الأندلس ثم الحديث عن سقوط الدولة الأموية ، وسوف أستفيد منه في أغلب فصول الدراسة .

2 – سالم ، السيد عبد العزيز

تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، (القاهرة ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1985م) .

تتعلق موضوعات هذا الكتاب بجوانب متفرقة من حضارة الإسلام في الأندلس ، وقد قسم الباحث كتابه إلى مقدمة وخمسة أبواب تحدث فيها عن أشهر قواعد الأندلس في العصر

الإسلامي ، وتطرق بالحديث عن الفنون الإسلامية بالأندلس والحياة العلمية والأدبية ، وأختتم الباب الرابع والخامس بالحديث عن النظم السياسية بالأندلس وعن الشخصيات الأندلسية .

3 – ذو النون طه ، عبد الواحد

دراسات أندلسية ، ط1 ، (بيروت ، دار المدار الإسلامي ، 2004)

ضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات والبحوث في تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس متكاملة في موضوعاتها ، تدرس نواحي متعددة من الحضارة في مختلف تجلياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية .

4 – ألحجي ، عبد الرحمن علي

التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ، ط2 (بيروت ، دار القلم ، 1981) .

قسم المؤلف كتابه ألي مقدمه وثمانية فصول وخاتمه ، أستهلها بالحديث عن أحوال أوروبا والأندلس قبل الفتح ، ثم تطرق في الحديث عن بدايات الفتح الإسلامي ودخول المسلمين إلى الأندلس ، ثم قام بسرد الكلام عن دول الطوائف والصراع مع اسبانيا النصرانية ، كما تطرق في كتابه إلى المرابطين وجهادهم وكذلك الموحدين ثم أختتم الكتاب بالحديث عن مملكة غرناطة ومحنة المسلمين بعد سقوطها ، وسوف أستفيد من هذا المؤلف في أجزاء من رسالتي

المنهج المتبع في الدراسة :

سوف أتبع في دراستي المنهج التاريخي السردى الذي يركز على إبراز المعلومات وصولاً إلى النتائج المرجوه منها .

وحتى تحقق الدراسة أهدافها ، سوف أقوم بتقسيم البحث ألي مقدمه وأربعة فصول وخاتمه وألحاقها بقائمة المصادر والمراجع ، على أن يكون الفصل الأول تمهيدي يتفق مع ما بعده

سوف أجعل عنوانه " أوضاع الأندلس قبيل عصر الولاة " سأتناول من خلاله الوضع العام الذي كان يسود تلك الفترة إذ كانت أحوال المعيشة غير جيدة والناس تعيش حياة مشقة يسودها الظلم والفساد الذي كان متفشياً في المجتمع الإسباني حيث كانت الطبقة الغنية تتحكم في البلاد وغالبية الشعب يعيش في فقر واضطهاد ، ومن بعد ذلك بيان دور المسلمين حين فتحت الأندلس على أيديهم وكيف يتبدل حال اسبانيا بدخولهم إليها لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل حكم المسلمين التي يطلق عليها الأندلس وبداية أول العصور وهو عصر الولاة .

الفصل الثاني فقد جعلت عنوانه " النظم الإدارية " فبعد أن فتح المسلمون الأندلس كان من الطبيعي أن يبدأ القادة بالتنظيمات والعمل على خلق هواء عربي إسلامي يتماشى معهم فبدؤهم برسم الحدود والبلاد التي يرونها مناسبة لهم ، وفي سياق الحديث عن النظم الإدارية سوف أتحدث عن النظم الإدارية في الأندلس قبل الفتح ثم خلاله .

الفصل الثالث جعلت عنوانه "النظم الاقتصادية " وأردت أن يكون الحديث فيه عن المجالات الثلاثة المعروفة الزراعة والصناعة والتجارة ، ونحن نعرف إن بلاد الأندلس غنية بالثروات الطبيعية فهي تتمتع بأراضي خصبة وأودية وجبال فاستغلت كل الإمكانيات لصالح البلاد فكانوا من ناحية الزراعة لهم باع طويل في المنتجات الزراعية المتنوعة وكذلك الصناعة وعلاقتهم بالشعوب الأخرى وتبادل المنتجات الصناعية وهذا ما سوف أتحدث فيه بشكل أكثر تفصيل وفي مجال التجارة كذلك لديهم علاقات تجارية مع الغير وبيان من هم التجار وطريقة الاتجار .

الفصل الرابع جعلت عنوانه " تطور النظام الإداري والاقتصادي في أواخر عصر الولاة " سوف أقوم فيه بالحديث عن النظم الإدارية والاقتصادية وإلى أي مدى وصلت هذه التطورات في نهاية هذا العصر .

وفي الختام ادعوا الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث حتى ينتفع به طلبة العلم ، فقد بذلت فيه كل جهد مستطاع وواجهت فيه عدد من الصعوبات أهمها تناثر

المعلومات بين ثنايا وسطور المصادر والمراجع فهي بحاجة إلى وقت طويل وجهد كبير
لجمعها وصياغتها والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

أوضاع الأندلس قبيل عصر الولاة

أولاً - حالة إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي

أ- الأوضاع العامة في إسبانيا

ب- طبقات المجتمع الإسباني

ثانياً . الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

أ- مقدمات الفتح الإسلامي

ب- مراحل الفتح الإسلامي

أولاً - حالة إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي

أ - الأوضاع العامة في إسبانيا :

تاريخ إسبانيا قديم للغاية ، فأصل السكان مزيج من الكلت والأيبيريين ، وفي القرن العاشر قبل الميلاد ، أسس الفينيقيون على سواحل إسبانيا عدة مستعمرات لهم ، كما أسس الإغريق منذ القرن الخامس قبل الميلاد بعض مراكز استعمارية في شبه الجزيرة وأطلقوا على سواحلها اسم أيبيريا¹. ثم خضعت شبه الجزيرة للقرطاجنيين منذ القرن الخامس ق.م وازدهرت مدينة قرطاجنة الجديدة في عهدهم واتخذوها حاضرة لهم ، وفي عام 205 ق.م تعرضت لغزو روماني وقضوا على نفوذ القرطاجنيين وأسس الرومان مدينة طالقة وجعلوها من أهم مراكزهم العمرانية في جنوب أيبيريا ، وخضع الإسبان لسلطان الرومان بادي ذي بدء ، ثم ساروا على نهج نظمهم وأقبلوا عليها إقبالا شديداً ، وانتهى بهم الأمر إلى تعلمها ، واصطبغوا من الوجهة الاجتماعية بالصبغة الرومانية إلا أن اندماج إسبانيا في الجسم الروماني لم يتم إلا بفضل المسيحية على نحو لم يكن في الحسبان ، ثم ضعفت الدولة الرومانية الغربية واجتاحتها قبائل جرمانية في موجات متتابعة حتى أستقر بها القوط الغربيون في أواخر القرن الرابع الميلادي وهم أعظم فروع الجرمان الشرقيين ، وقد عانت إسبانيا من آثار الغزوات الجرمانية المدمرة التي تدفقت عام 409 م ، فقد اجتاحتها عناصر الآن بقيادة ريسبارديال والسويف بقيادة ملكهم هرما نريك ، والوندال بقيادة ملكهم جنصريك ، وكان الوندال أشد هذه العناصر تخريباً وتدميراً ووحشية² والقوط هم إحدى هذه القبائل أو الشعوب البربرية التي هبطت من شمال أوروبا وقوضت صروح الإمبراطورية الرومانية ، وتقول الأساطير القديمة إنهم نزحوا من اسكندناوة ، وهي رواية يؤيدها كثير من القرائن والشواهد³ أن الثلاثين سنة التي سبقت دخول المسلمين إلى الأندلس ، هي سنوات عجاف بالنسبة لما نعرفه عن تاريخ إسبانيا .

والواقع أن الصورة التي تمثل هذه المدة صورة مظلمة قائمة ، ففيه كثرت المشاكل التي تعانيتها الدولة من مؤامرات ومصادمات حول العرش ، وصراع بين العناصر الخاضعة للقوط

¹ - سالم ، السيد عبد العزيز : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، دار النهضة العربية (بيروت ، 1981) ص 51 .

² - المرجع السابق ، ص 53 .

³ - عنان ، محمد عبد الله : دولة الاسلام في الاندلس ، مكتبة الخانجي (القاهرة ، 1997 م) ص 28 .

ولم يكن علاج هذه المشكلات متوفراً لضعف الملوك وتجردهم من مظاهر القوة والسلطان وضعف الروح الحربية عند القوط ، بعد أن تخلو عن خشونتهم القديمة التي جعلت منهم رجال حرب واستغرقوا في حياة الترف ، في الوقت الذي نمت فيه السلطات الكنسية ، وأصبح الأساقفة يسيرون الدولة ويستبدون بشؤونها¹.

استبد القوط بالحكم ، لا سيما قبيل الفتح الإسلامي ، وبسوء سياستهم ساءت حالة إسبانيا واضطربت حياة سكانها ، فالفوضى منتشرة وكثير من الناس يعيشون في شقاء لسوء الأحوال المعاشة ولسياسة الاستغلال فكان الشعب يستغل لحساب الطبقة الحاكمة والمترفة وأصحاب المصالح². فقسم الأشراف ورجال الدين البلاد إلى أقطاعات كبيرة وسكنوا القصور الفخمة وانصرفوا إلى اللهو وتركوا الصناعة والزراعة في أيدي الأرقاء الذين كانوا يعيشون في ذل وضعف كما أنقلوا كاهل الطبقة الوسطى من الزراعة والتجار بالضرائب³.

وقد اتبع رجال الدين الذين كانوا يشيدون بالأخوة المسيحية بعد أن أثروا وملكوا الضياع الواسعة السياسة الموروثة وعاملوا عبيدهم وخولهم بالتعسف ، كما كان يعمل أثرياء الرومان وأغنياء القوط ، ومجلس الأساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لإقرار الشؤون الهامة في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك ، وادعت لنفسها الحق في عزله إذا أبى الإذعان لقراراتهم ، واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا إليها سبيلاً لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في إسبانيا ، وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية ، وحاول اليهود إشعال الثورة مراراً لما نزل بهم الضيق والتعسف ولكنهم أخفقوا في محاولاتهم ونهبت ديارهم واضطر كثير منهم إلى اعتناق المسيحية ، وكانت الطبقة الدنيا تشمل العبيد الذين انصرفوا إلى زراعتها أما الطبقة الوسطى فقد كانت تلاقي من العيش شراً مما كان يلاقه العبيد فكان يقع عليهم عبء الإنفاق على الدولة فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما جر إلى خراب هذه الطبقة

¹ – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 58 .

² – الحجي ، عبد الرحمن علي : التاريخ الاندلسي ، دار القلم (بيروت ، 1981) ص 29 .

³ – حسن ، ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج1 ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، 1996) ص 252 .

وإفلاسها ، هذا ما أصاب إسبانيا من بؤس وشقاء ، فقد قيل إن الوباء تفشى في سنة 88 89 - 90 هـ حتى مات أكثر من نصف سكانها¹.

كان عصر القوط عصراً مشحوناً بالفوضى والاضطرابات ، وأصاب المدن اضمحلال عام نتيجة لاضطراب أمور الدولة ، وعدم الإحساس بالأمن ، وأخذت بعض مدن الأندلس الكبرى تضمحل وتتحول إلى مدن صغيرة بل أن بعضها تحول إلى قرى وحصون ، واختفى بعضها الآخر اختفاء تاماً ، والواقع أن القوط عند ما دخلوا إسبانيا لم يغيروا كثيراً من نظم المجتمع التي كانت في العصر الروماني² ، فضلت طبقة النبلاء القديمة على ما كانت عليه من غنى ونفوذ ، وظلت طبقة التجار والزراع وصغار الملاك تعيش تحت رحمة الأغنياء³ واستمر العبيد والأرقاء يفلحون الأرض للأغنياء ويدخلون في مجموع ما يقتنيه هؤلاء من ممتلكات وكانت إسبانيا القوطية تنقسم إلى عدة أقاليم تشمل على عدد من المدن يحكم كل مدينة منها (كونت) واستعان هؤلاء الحكام بطائفة من الموظفين يقومون بكل ما تحتاج إليه الحكومة الإقطاعية في الشؤون المالية والقضائية والحربية وكان الملك يستبد بحكمه ، يفعل في دولته ما يشاء فيصدر القوانين ، وينفذها كما يريد ، على الرغم من وجود مجلس للنبلاء ، وأقدم مجموعة قوانين أصدرها ملوك القوط هي مجموعة (أيوريك) ، وطبقوها على القوط في حين ترك الرومان يطبقون قوانينهم الخاصة بهم ، وأضاف خلفاؤه إلى هذه القوانين مجموعات قانونية أخرى ، وكان مجلس النبلاء يقوم باختيار الملك من بين طبقة النبلاء إذ كان النبلاء لا يعترفون بنظام وراثته العرش أو الوصاية لشخص معين ، وكانوا يشترطون في اختيار الملك أن يكون قائداً شجاعاً ، وشرط هذا النظام أن الظافر بالعرش لا بد أن يتولاه بحد سيفه وقد كان لذلك نتائج سيئة ، إذا أثار كثيراً من المشاكل والقلقل بسبب الدسائس التي كان يحكيها النبلاء طمعاً في العرش ، لذلك كان انتقال العرش من ملك إلى ملك يقترن في

¹ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج1 ، ص 253 .

² - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 62 .

³ - مؤنس ، حسين : فجر الاندلس ، دار المعارف (القاهرة ، 1959) ص 21 ، 22 .

كثير من الأحيان بمؤامرات دامية ، ويتكون مجلس طليطلة من النبلاء والأساقفة ، ولا يجتمع المجلس إلا إذا دعاه الملك للانعقاد وكانت قرارات المجلس تؤلف القانون المدني لدولة القوط

ب - طبقات المجتمع الاسباني :

الشعب الإسباني مثل غيره من الشعوب الأوروبية مقسم إلى طبقات عديدة هضمت حقوقها مع وجود الفوارق الطبقيّة ، فلا يحظى بالعيش الهني إلا طبقة معينه حصلت على امتيازات والأسرة المالكة بيدها كل شيء اما سواد الشعب يلاقي الإهمال والظلم ، فتفرض عليه الضرائب والتكاليف ، وقد انقسم الشعب إلى عدة طبقات وهي طبقة النبلاء ، ومنها الطبقة الحاكمة ، وطبقة رجال الكنيسة ، التي تشارك النبلاء في حكم البلاد والاستمتاع بخيراتها طبقة التجار والزراع والملاك الصغار ، الذين يتحملون الضرائب المختلفة ، وطبقة العبيد الأرض الذين يتبعون مالكيها وينقلون مع ملكيتها من سيد إلى آخر ، وطبقة العبيد التي تكونت من أسرى الحرب ، ويتصرف فيهم بيعاً وشرا ، ولم تعط لهم ولا لسابقتهم الحقوق التي يستحقون فلم ينالوا تكريماً ، بجانب هذه الطبقات وجد اليهود الذين لاقوا الاضطهاد أحياناً ، ولذا كانوا لا يؤيدون هذا الملك وربما حاولوا تغييره ، فكان هنالك صراع على السلطة ولكل مؤيدوه¹.

طبقة النبلاء :

تتألف من أغنياء القوط الغربيين ، وبقايا طبقة النبلاء الرومان ، ويتميز أفراد هذه الطبقة عن الأحرار الاعتياديين بأصلهم النبيل ، وامتلاكهم للمزارع والضياع الكبيرة التي تزرع من قبل المستأجرين ، وبخدمتهم في المناصب العليا في القصر وفي الإدارة وكانت البلاد حتى منتصف القرن السابع الميلادي تحكم وتدار بواسطة إدارة مشتركة من الطبقة النبيلة القوطية والرومانية ، ومن المظاهر المهمة لهذا النظام ، أن الطبقة النبيلة القوطية كانت مسؤلية عن

¹ - عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الاندلسي ، ص 29 .

السكان القوط ، والطبقة النبيلة الرومانية تمارس سلطاتها على السكان الرومان ، بينما كان الملك القوطي وموظفوه الكبار يقررون السياسة العامة للجميع ، وكان ملاك الأراضي الرومان والقوط وكما هو الحال بالنسبة إلى الملك وكبار موظفيه أيضاً ، يشرفون على مزارعهم بواسطة الوكلاء ومديري المال في مقاطعاتهم ، وبصورة عامة فإن أفراد هذه الطبقة

النبيلة كانوا أغنياء جداً بنوا ثروتهم على حساب الطبقات الفقيرة المعدمة الأخرى ، وقد أفلح بعضهم في الاحتفاظ بثروته حتى بعد الفتح العربي الإسلامي¹.

طبقة رجال الدين :

وهي طبقة لها شأن كبير ، وكانت تملك كثيراً من الأراضي المعفاة من الضرائب كما كان للكنائس والأديرة أوقافاً وحبوساً تستغلها ولها تأثير روحي وكانت تسيطر على نفوس الناس فكثر عددياً وثروة مادية وسلطان روحي على الشعب ، كل ذلك كان كفيلاً بأن يؤلف قوة هائلة لا تتمتع بها أي طبقة أخرى ، وكان رجال الكنيسة لا يعنون إلا بما يمس مصالحهم الذاتية ، فلم يعملوا شيئاً لتحسين حال الناس ، ولم يحاول أحدهم الاعتراض على تصرفات الأغنياء من استبداد بالضعفاء ، والاستكثار من العبيد والأرقاء² وقد تألف من كبار القساوسة الكاثوليك مجلس سياسي ديني وانتهى به الأمر أن أصبح مجلساً أعلى للدولة بعد أن انظم إليه مجلس النبلاء³.

طبقة التجار والزراع والملاك الصغار :

وهي الطبقة المعروفة بطبقة الأحرار غير المميزين ، فقد أغتصب القوط من الزراع الأحرار أراضيهم واستقروا فيها واجبروهم على زراعتها ، فلجأ بعض متوسطي الزراع إلى الملاك الأغنياء يلتمسون حمايتهم نظير تنازلهم عن بعض أراضيهم وكان على هؤلاء أن يدفعوا

¹ - ذون طه ، عبد الواحد : تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت ، 2000) ص 16 .
² - ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج2 (الدار التونسية للنشر ، 1968) ص 26 .
³ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 64 .

ضرائب باهظة ، ويقوموا بحفر الترع ، وإنشاء القناطر وتعبيد الطرق وهكذا كان يقع على عاتقهم عبء كبير من الالتزامات.

طبقة العبيد :

وكان عددهم كبيراً للغاية ، إذا كان الأغنياء والنبلاء يقتنون منهم الألاف ، ويسئون معاملتهم كما لو كانوا جزءاً من ممتلكاتهم ، ولم يكن للعبيد حقوق يمكنهم المطالبة بها وقد يؤس هؤلاء العبيد من حالتهم ، وأخذوا يترقبون الفرصة المواتية للخروج مما هم فيه من ضيق .

طبقة اليهود :

هي طبقة بلغت عدداً كبيراً في إسبانيا حيث بسطت نفوذها في المجال الاقتصادي ولكنهم عانوا كثيراً من عسف الملوك والكهنة والنبلاء وذاقوا شتى الوان الجور والاضطهاد ودفعهم ذلك إلى التآمر وتدبير ثورة على الحكم القائم ولكن مؤامراتهم اكتشفت قبل القيام بها فنكل بهم وصودرت أملاكهم وقضي على من بقي منهم حياً بالرق الأبدي للنصارى ووزعوا شيباً وشباناً ذكوراً وإناثاً على المسيحيين فأما الشيوخ فقد سمح لهم بالبقاء على دينهم اليهودي وأما الشبان والأطفال فقد لقنوا العقيدة المسيحية ونشئوا عليها وصار لا يتزوج عبد يهودي إلا بجارية نصرانية ولا تتزوج يهودية إلا بنصراني ، وبذلك ذاق اليهود مرارة الذل والاضطهاد مع بقية طوائف الشعب التي صارت تنتظر الخلاص مما تعانيه دون أن تجد إلى ذلك سبيلاً¹

¹ - زيتون ، محمد محمد : المسلمون في المغرب والاندلس ، دار الكتب (القاهرة ، 1990) ص 150 ، ص 151 .

ثانياً - الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس

أ - مقدمات الفتح الإسلامي :

كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس أمراً طبيعياً ، حسب الخطة التي اتبعها المسلمون أثناء فتوحاتهم ، وهي تأمين حدودهم ونشر دعوتهم ، وذلك بالمضي في جهادهم إلى ما وراء تلك الحدود لنشر العقيدة الإسلامية التي تقضي أن يستمر المد الإسلامي ما دامت فيه القدرة على الاستمرار ، ولما وصل الفتح إلى شمال إفريقيا كان المد الإسلامي المكين يحمل عناصر القوة الذاتية الأصيلة ، ومن هنا ما كان منتظراً من هذه القوة الجديدة التي دفعت بالقائمين بها والعاملين فيها إلى الاستمرار ، أن تقف عند شواطئ إفريقيا الشمالية الغربية فكان طبيعياً ومتوقفاً عبور هذا المد إلى إسبانيا عبر المضيق (المجاز أو الزقاق)¹ .

بعد أن أرسى موسى بن نصير ومن معه كلمة الإسلام بجهودهم في الشمال الأفريقي تطلع القائد الفاتح إلى فتح جديد يضمه إلى إمبراطورية العرب المسلمين وينشر راية الإسلام الخفاقة في ربوع جديدة² ولقد فكر في عبور البحر والتوجه إلى إسبانيا لفتحها ، وقد شجعه بعض المغاربة الذين كانت لهم صلات تجارية مع الإسبان بما أخبروه عن اضطراب حالها وانقسام أمرائها ، لذلك قرر إخضاع سبتة أولاً ومن ثم ليتخذها قاعدة أمينة للغزو المنتظر وكان من غير المعقول أن يعبر إلى الساحل الآخر ويترك سبتة وحاميتها خلفه تهدده دوماً وتمنع أية إمدادات له أثناء زحفه في إسبانيا ، لذلك أوعز إلى طارق إخضاع القبائل القاطنة بين سبتة وطنجة ومراقبة سبتة وانتهاز أية فرصة لفتحها³ .

كانت سبتة مدينه محصنه خاضعة للرومان يحكمها الكونت يوليان ، وكان هذا تابعاً بالاسم لبيزنطة ، وعندما قضى العرب على قوتها العسكرية في أفريقيا طلب حماية الملك غطشه

¹ - الشطشاط ، علي حسين : تاريخ الاسلام في الاندلس ، دار قباء الحديثة (القاهرة ، 2009) ص 33 .
² - عبد الحميد ، صبحي : معارك العرب الحاسمة ، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت ، 1980) ص 99 ، 100 .
³ - المرجع السابق ، ص 99 ، ص 100 .

ملك اسبانيا ليساعده ضد الغزو العربي ، فحالفه هذا وأمدّه بالعون والمدد¹ ولما كانت قوة طارق في طنجة تزداد يوماً بعد يوم خشي يوليان هذه القوة المتزايدة فدخل معه بمفاوضات انتهت بالصلح ، وفي هذه الإثناء حصلت ثورة في اسبانيا ضد غيطشه قادها الأمير القوطي لذريق فقتل غيطشه وحل محله على العرش الاسباني ، وشرّد أولاد الملك السابق وأخوته أخذ يوليان يساعد هذه العائلة سراً على استرداد العرش المغتصب ، وكانت له ابنة جميلة اسمها فلورندا تعيش في قصر الملك في اسبانيا² مع عائلته لتتأدب بآداب الملوك طبقاً للعادة التي كانت ساريه في ذلك الوقت ، حيث يرسل أمراء الأقاليم أبنائهم إلى قصور الملوك للتأدب ظاهرياً بينما هم في الحقيقة رهائن خشية قيام حكام الأقاليم بثورة ضد العرش أو مخالفة أوامره هام لذريق حياً بفلورندا فاغتصبها ، ولما سمع والدها بذلك قرر الانتقام منه ولم يجد إلا التحالف مع العرب وتسهيل أمر عبورهم إلى اسبانيا ، خاصة وأنه كان على علم بأفكار موسى بن نصير ورغبته في فتح اسبانيا ، عبر يوليان إلى اسبانيا واحتال على لذريق وأقنعه بالسماح لابنته بالعودة معه لمشاهدة والدتها المريضة ولما عاد بها اخذ يحث طارق بن زياد على إقناع موسى بغزو اسبانيا وقد وعده بتقديم السفن وكل المعونات اللازمة لعبور البحر بشرط ألا يتعرض العرب لسبته أو ينتقصوا من سيادتها ، وقد قبل طارق هذا العرض بعد أن أخبر موسى بذلك ، رحب موسى بما عرضه عليه يوليان فقد كان يطمح في شرف الجهاد والفتح وبالرغم من تلهفه إلى افتتاح الأندلس³ ، لم يشأ أن يقحم المسلمين في مغامرة لا يعلم نتائجها إلا الله ، فلم يكن قد وثق بعد بيوليان⁴ ثم أنه كان لا يمكن أن يتصرف في هذا المشروع الخطير وحده دون أن يستأذن الخليفة أو يستشيريه فيما هو مقبل عليه فكتب من فوره إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86 – 96هـ ، 705 – 715م) بفتوحه المغرب وضمن رسالته ما ذكره يوليان من تدليل الأمور وتهوينها على المسلمين ، وتردد الوليد وخاف على المسلمين من مغبة مخاطرة كهذه في أراض مجهولة ، يفصل بينها وبين أرض

¹ – المرجع السابق : ص 100 .

² – المرجع السابق : ص 101 .

³ – ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن : فتوح افریقیة والاندلس (الجزائر ، 1961) ص 90 .

⁴ – علي حسين الشطشاط : تاريخ الاسلام في الاندلس ، ص 35 .

المسلمين بحر الزقاق ، ولكن موسى أقنع الخليفة الوليد بالأمر ، فكتب إلى موسى يأمره بأن يخوضها بالسرايا حتى يختبرها ، وأمره ألا يغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال¹.

وعمل موسى بنصيحة الخليفة ، ولم يغامر بأرواح جنوده دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة وألف كتيبة قوامها أربعمائة رجل ومائة فارس اسند قيادتها إلى القائد " ابو زرعة طريف بن مالك المعافري " وكلفها بمهمة النزول على الساحل الاسباني لاستطلاع ودراسة طبيعة أرضه وأحواله ، ورفع تقرير مفصل يستند عليه في وضع خطة حملته القادمة على الأندلس اجتازت القوة مضيق جبل طارق الذي كان يسمى وقتذاك مضيق جبل " كالبي " في رمضان سنة 90 هـ \ 710 م² ونزلت في " بالوماس " على مقربة من الموضع الذي انشئت فيه بعد ذلك بلدة " طريف " وقد كان في استقبالهم أعوان أولاد غطشه ويوليان مع كتيبة من أتباعهم كانت تحمي مؤخرة القوة العربية في تقدمها بالأرض الاسبانية ، ومن هذا الموقع شن طريف ورجاله سلسلة من الغارات على الساحل الجنوبي للأندلس ، المقابل لساحل سبته فيما بين طريف والجزيرة الخضراء ، وعاد طريف بفرقة سالمياً يجر وراءه الغنائم الكثيرة ، فأنس موسى إلى يوليان ، ووثق فيه ، واطمأنت نفسه إليه ، واشتد عزمه على الفتح وتلطفه على السير في هذه المغامرة .

¹ - المقرئ ، شهاب الدين ابو العباس : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، (القاهرة ، 1942) ج 1 ، ص 237 .

² - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 70 .

ب- مراحل الفتح الإسلامي :

أخذ موسى يعد الحملة التي ستكون مقدمة للاستيلاء على الأندلس فجدد في بناء السفن وتجهيزها ولا شك أنه استعان مع هذا بكل السفن التي كانت تتردد بين أفريقيا والأندلس سواء كانت ليوليان أو غيره حتى يتمكن من نقل الجيش الذي بلغ تعداده سبعة آلاف معظمهم من البربر ، وقد أهتم بالحصول على خبراء في معرفة شهور السريان والعجم ليستفيد منهم في معرفة الطقس الملائم للحملة ، وأسند قيادة الجيش إلى طارق بن زياد الذي لمس فيه موسى الكفاءة لقيادة هذه الحملة ¹ .

وتمكن طارق والمسلمون معه من النزول في جبل " كالبي " في سنة 92 هـ 710 م بعد أن قضوا على المقاومة التي تصدت لهم وفتحوا حصن قرطاجنة الذي كان في سفح الجبل ² وبدأ طارق بن زياد ببسط سلطانه على الأماكن المجاورة لجبل " كالبي " وبعد ان فرغ من تحصين المنطقة أرسل فرقة بقيادة " عبد الملك بن عامر " سارت بمحاذاة الساحل الجنوبي لإسبانيا بقصد حماية جناحه الايمن اثناء توغله نحو الشمال تمكنت هذه الفرقة من الاستيلاء على المنطقة الكائنة بين قرطاجنة والجزيرة الخضراء عهد بحراستها وقاعدته في الجبل إلى كتيبة من كتائب الكونت يوليان وبعد أن أمن طارق قاعدته وجناحه الايمن ، وتأكد من سلامة خط مواصلاته مع قاعدته الرئيسية في سبته سار بقوته الكبرى لفتح قرطبة ، أتجه طارق نحو رأس طريف ومنه سار إلى الشمال في أراض سهلة ، ثم مر بين جبلي " سيليا دل بابا " و " سير ادل رتين " واقترب من بحيرة الخندق وعبر سهل واسع سار فيه حتى وصل نهر البرباط وعسكر على ضفته الجنوبية قرب قرية تدعى " لكة " ³ .

ويبدو أن لذريق قد سمع بخبر دخول جيش المسلمين إلى الأندلس وكان يومئذ غازياً في جهة البشكنسي ، فبادر في جموعه وهم أكثر من جيش المسلمين ، واحس طارق بصعوبة

¹ - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص 158 .

² - ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج2 ، ص 9 .

³ - صبحي عبد الحميد : معارك العرب الحاسمة ، ص103 .

الموقف خصوصاً أنه في ارض جديدة لم يعرفها من قبل جيداً ولم يختبرها جيداً سوى تلك السرايا الاستطلاعية التي قام بها " طريف بن مالك " في بداية الفتح فقرر طارق بذكائه في أن يرسل في طلب المدد من قائده موسى ابن نصير في بلاد المغرب¹ .

وبعد أن علم لذريق بذلك غضب غضباً شديداً وكر راجعاً إلى عاصمته ثم خرج منها لمواجهة المسلمين بعد أن عبأ جميع قواته وزحف بها نحو قرطبة حيث أقام في قصرها ريثما يتم وفود عسكره إليه الذي يقدر عدده مائة ألف مقاتل² فلما علم طارق بزحف هذه الحشود الهائلة إليه كتب إلى موسى يستمده ، ويخبره في الوقت نفسه بأنه فتح الجزيرة الخضراء وملك المجاز إلى الأندلس ، واستولى على بعض أعمالها حتى البحيرة وأن لذريق زحف إليه بما لا قبل له به فأرسل إليه موسى مدداً من خمسة آلاف من المسلمين³ على رأسهم طريف بن مالك وأغلبهم من الفرسان وبهم كملت عدة من مع طارق أثنى عشر ألفاً⁴ ومعهم يوليان ورجاله يدلهم على العورات ، ويتجسس لهم الأخبار جمع طارق المعلومات اللازمة عن خصمه ، فوجد أن " لذرق " حشد جيشاً كبيراً يساوي خمسة أضعاف جيشه ، لذلك أراد أن يلهب حماسة جيشه ويقطع عليهم أي تفكير للعودة فأما النصر أو الموت فقرر إعادة السفن التي قدموا بها إلى الساحل الأفريقي⁵ وألقى خطبته المشهورة .

وقبل الخوض في خطبة طارق المشهورة لشحن همم المسلمين والإصرار على القتال والنصر لابد أن نقول بأن على مدي أعوام كثيرة كانت هذه الخطبة موضع نقاش واختلاف كثير من آراء المؤرخين وكانت موضوع أخذ ورد كثير منهم سواء كانوا مؤرخين عرب أم أجنب من فمهم من أنكر خطبة طارق لكونه بربرياً يصعب عليه تدبيح مثل ذلك النص المتين ، ومنهم من يؤكد بأن لسان طارق كان عربياً فصيحاً وأنه كان ينظم ما يجوز كتبه ، على أية حال نحن بدورنا نؤكد بأن طارق كان يجيد اللغة العربية بطلاقة وفصاحة وقائد فذ مثل طارق بن زياد لا تصعب عليه مثل هذه الخطب ، فقال " أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم

1 - علي حسين الشطشاط : تاريخ الاسلام في الاندلس ، ص 39 .

2 - المقرئ : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 231 .

3 - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 75 .

4 - المقرئ : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 241 .

5 - صبحي عبد الحميد : معارك العرب الحاسمة ، ص 104 .

والعدو من أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام

في مأدبة اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وقوته موفورة ، وانتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وان امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب عن رعبها منكم بالجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألفت مدينته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه للمكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت وأني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوه ولا حملتكم على خطة أرخص متاعاً فيها للنفوس ابدأ بنفسي واعلموا أنكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفة الألد طويلاً فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه بأوفى من حظي ¹ .

معركة وادي لكة :

كان نهر البرباط يفصل بين الجيش العربي والقوطي ولقد قدر طارق الموقف مع الكونت يوليان وقرر العبور وأخذ المبادرة بالهجوم بعنف ، وذلك ليساعد على تقوية معنويات قوات عائلة غطشه التي كانت تحارب بجانب لذريق فيشجعها على تنفيذ الخطة ² التي سبق لهم الاتفاق عليها مع يوليان وذلك بترك لذريق و الانسحاب من المعركة لتمكين العرب من النصر بدأت طلائع الجيش الإسلامي بعبور وادي البرباط وقامت بهجمات استطلاعية استمرت لمدة ثلاث أيام تمكن خلالها القسم الأكبر من العبور إلى الضفة الأخرى ، وفي الوقت نفسه استطاع المسلمون بواسطتها معرفة نقاط الضعف في مواقع خصمهم ، وفي اليوم الرابع بدأ الهجوم وقد قاتل فرسان القوط بشجاعة وثبات ، وبات مصير المعركة متأرجحا وكان العرب يهاجمون بحماسة وعناد وإصرار على إحراز النصر ³ .

¹ - شاکر ، محمود : اعلام وقادة الفتح الاسلامي ، دار اسامة للنشر (عمان ، 2010) ص 112 .

² - صبحي عبد الحميد : معارك العرب الحاسمة ، ص 107 .

³ - المرجع السابق : ص 108 .

كان الجيش القوطي رغم كثرته مختل النظام ، منحل القوى وكان يقود جناحيه أبة وششبرت " أولاد الملك غطشه ، ولقد أستمال هؤلاء بالتعاون مع عمهما الأسقف اوباس كثيراً من جند القوط ، في اليوم السابع للمعركة اشتدت ضربات العرب وبدأت قوة أولاد غطشه بتنفيذ خطة الانسحاب من مواقعها ، فانسحب الجناحان وثبت القلب الذي كان يقوده الملك نفسه إلا أن انسحاب الجناحين كان كافياً ليوقع الفوضى في الجيش ، فاضطرب نظامه وتدهورت صفوفه وانهارت معنوياته فلاذ بأكمله بالفرار باتجاه الشمال وكان المسلمون يطاردونهم فأوقعوا بهم خسائر فادحة ، واستولوا على معظم الخيل التي كان يمتلكها فرسان القوط ، ويقال أن لذريق نفسه قتل في هذه المعركة وان لم يعثر على جثته بل وجد حصانه ذو السرج المذهب على ضفة النهر فظن أنه قضى نحبه غرقاً ، تمزق الجيش القوطي وهرب جنوده كل قسم في جهة فتحصنوا بالجبال والهضاب وكان أكبر تجمع لهم في مدينة " استجة " ولقد حث طارق السير لمطاردتهم .

إتمام فتح الأندلس :

كان انتصار المسلمين على القوط في معركة وأدي لكه قد ساعد المسلمين على تثبيت أقدامهم في أرض الأندلس وعقب هذا الانتصار الباهر للمسلمين كتب طارق إلى موسى بن نصير يخبره بهذا الفتح ، وما حصل عليه المسلمون من غنائم عظيمة وما أن وصل خبر الانتصارات إلى إفريقية حتى اقبلوا نحو الأندلس وعبروا المضيق¹.

وأعقب هذا الانتصار اضطراب في شئون الأندلس ، وأرتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبل ، ورأى حزب غيطشه أن الفرصة قد سنحت لإعلان واحد منهم ملكاً مكان الطاغية المهزوم ، وقد بذل وقلة " أخيلا " أحد القادة جهداً كبيراً لكي يستصدر من مجلس طليطلة قراراً باعتباره ملكاً ، ولكنه لم يحصل على ذلك لأن الشائعات كانت تملأ الأندلس بأن لذريق لم يقتل ، وقد عمل أبناء " غيطشه " على تشجيع " طارق " على الاستمرار في الفتح حتى يتم لهم الانتصار المحقق ، أما يوليان فقد ثبت بقواته في ناحية " الجزيرة الخضراء " .

¹ - الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 44 .

فتح استجه :

استمر طارق في فتوحاته ، حيث وجد أن الأبواب قد فتحت أمامه فمضى مسرعاً نحو استجه لفتحها وكان معظم الجنود الإسبان الذين فروا من المعركة قد لجئوا إلى تلك المدينة وتحصنوا فيها ، مما اضطر طارق بن زياد إلى طلب العون من يوليان الذي خف إليه مسرعاً ، ويبدو أنه بعد مجيء يوليان إلى استجه بجيشه رأى كثرة الجيش المجتمع فنصح " طارق " بتفريق جنده في بعوث جانبية ، فقال له " قد فتحت الأندلس فخذ من أصحابي أدلاء ، ففرق معهم

جيوشك وسر أنت إلى مدينة طليطلة ففرق جيوشه من استجه وكانت تحيط بالمدينة أسوار منيعة تسمح لها بالدفاع عن نفسها فترة من الوقت ، فاندفع المسلمون نحوها واستطاعوا فتحها بعد قتال عنيف قتل فيه معظم المدافعين عن المدينة¹ وهرب من استطاع الهروب إلى طليطلة.

فتح قرطبة :

وزع طارق جيشه لفتح مختلف البلاد الأندلسية ، فوجه " مغيثاً .. مولى عبد الملك بن مروان على رأس سبعمائة فارس إلى قرطبة واستطاع فتح المدينة دون مشقة كبيرة بفضل شجاعة وصدق المسلمين² وأرسل جيشاً آخر إلى مدينة مالقه ففتحوها وآخر إلى كورة البيرة حيث افتتح مدينتها غرناطة ، ومضى الجيش الإسلامي إلى تدمير ففتحوها وكانت قاعدتها أوريولة وسميت تدمير نسبةً إلى حاكمها ، ثم أطلق على تدمير اسم مرسية وقد التقى حاكمها بجيشه مع المسلمين في قتال شديد هزم فيه " تدمير " وفنى معظم جيشه فلجأ إلى الحيلة حيث أوهم المسلمين بكثرة جنده في المدينة ، وهم في الحقيقة من النساء ، وبذلك تمكن من عقد صلح مع المسلمين حفظ به المدينة من السبي وفتحت صلحاً³ .

فتح طليطلة :

¹ - ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج2 ، ص 9 .

² - المقرئ : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج1 ، ص 260 .

³ - المصدر السابق : ج1 ، ص 264 .

سار طارق من استجه في طريقه إلى طليطلة عبر الطريق الروماني القديم الذي يمر بمدينة "جيان" والذي يدعى هنيبال ، فعبر نهر الوادي الكبير وتقدم إلى الشمال⁴ وعندما وصل إلى طليطلة ، وجدها خالية إلا من بعض اليهود ووجد حاكمها قد انسحب إلى مدينة أخرى خلف الجبال ، وقد سار طارق لملاحقة الهاربين بعد ان ترك بعض الجنود للدفاع عن المدينة ، واتخذ طريق وادي الحجارة فوصل إلى مدينة تسمى " المائدة " ⁵ ، حيث تحصن فيها حاكم مدينة طليطلة وجنده فافتتحها ، وعثر فيها طارق على مائدة عظيمة وذلك لفخامتها ولما تحتويه من أحجار كريمة يقال أنها مائدة سيدنا سليمان ، وبعد أن فتح طارق مدينة طليطلة تابع طريقه شمالاً حسب بعض الروايات التاريخية ، بينما تؤكد روايات أخرى بأن

طارق اكتفى بذلك القدر من الفتوحات ثم عاد إلى طليطلة قبل حلول فصل الشتاء على ما يبدو¹ ويستبعد أن يكون طارق قد سار إلى مدينتي أمايا واشترقة في ذلك الحين لان الشتاء قد اقترب وكان الإجهاد قد نال من المسلمين وتقلوا بالغنائم² .

⁴ – مجموعة مؤلفين : تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ص 37 .

⁵ – علي حسين الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 46 .

¹ – ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج2 ، ص12 .

² – حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 80 .

حملة موسى بن نصير :

بلغت موسى أخبار الفتح ، فقرر اللحاق بطارق بمجرد وصول هذه الأخبار لتدعيم الفتح الذي قام به ، وهناك عدة أسباب دفعت موسى بن نصير للحاق بطارق بأرض الأندلس ولعل من أهمها خشيته أن يتقدم طارق بالمسلمين في تلك البلاد مسافات طويلة جداً فتمتد خطوط قتالهم ويسهل على العدو مهاجمتهم دون أن يتمكنوا من اتخاذ وسائل الدفاع المناسب عن أنفسهم فتضيع ثمرات انتصار المسلمين وفتوحاتهم الأولى ، ولذلك رأى موسى أن عدد الجيش الذي تحت إمرة طارق لم يكن كافياً لافتتاح بلاد الأندلس الواسعة ، وخاصة بعد أن سمع أن طارقاً قد سار إلى الأمام دون توقف ، فرأى أنه من الأفضل أن يسير هو بنفسه على رأس جيش كبير ليضمن بذلك النصر الأكيد ، كذلك خاف موسى من أن يستقل طارق بتلك البلاد بعد فتحها ويخلع فيما بعد طاعته وطاعة الخليفة الوليد ، ومن الأسباب المهمة لعبور موسى بن نصير كذلك رغبته في أن يكون له نصيب في تلك الانتصارات والفتوحات والغنائم ، فعبّر موسى الزقاق في رمضان سنة 93 هـ – 712 م ، على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفاً من العرب والبربر ونزل في جبل الفتح ثم دخل الجزيرة الخضراء وأقام بها أياماً للراحة والتأهب لخوض المعركة القادمة وزحف موسى إلى شذونة فافتتحها عنوة ، ومضى بعد ذلك إلى قلعة رعواق المعروفة بقلعة وادي أيرة فافتتحها ثم سار إلى قرمونة ، وكانت غاية في المناعة والحصانة¹ وقيل لموسى إنها لا تؤخذ إلا باللطف والحيلة ، ففكر في خدعة يخدع بها أهل قرمونة وأرسل إليها جنداً من أتباع يليان على هيئة المنهزمين ومعهم السلاح ففتح أهل قرمونة لهم الأبواب فلما دخلوها بعث موسى إليهم الخيل ليلاً ففتحوا باب المدينة المعروف بباب قرطبة ووثبوا على الحراس فقتلوهم ، وبذلك دخل المسلمون قرمونة² وقد تم بفتح قرمونة إقامة خط عسكري متين يمتد من الجزيرة الخضراء إلى شذونة لقرمونة إلى استجه إلى قرطبة مدعماً بذلك مركز الجيوش العربية الفاتحة³ ، تقدمت قوات موسى نحو اشبيلية

¹ – مجهول ، مؤلف : أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، الأكاديمية التاريخية الملكية (مدريد ، 1867) ص 16 .

² – ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 20 .

³ – الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 53 .

وكانت أعظم مدائن الأندلس شائناً وخطباً ، وأعجبها بنياناً وآثاراً ، وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الأندلس ⁴ .

فحاصرها موسى حصاراً شديداً ، ولكنها امتنعت عليه أشهراً ، ثم سقطت في أيدي المسلمين وهرب رجال حاميتها إلى مدينة باجا ، ومضى موسى بعد ذلك إلى مدينة ماردة فسلك طريق سمي باسمه " فح موسى " فلما وصلها وجدها أحصن وأقوى مما كان يتصور فقد تجمع فيها أنصار لذريق والهاربون من فلول القوط ، فحاصرها موسى ولكن أهلها خرجوا لقتال المسلمين فصددهم موسى برجاله صدمه عنيفة ارتدوا بعدها إلى مدينتهم وتحصنوا بداخل أسوارها فنصب موسى لهم كميناً في نقب لأحد مقاطع الصخور وأكمن فيه أثناء الليل عدداً كبيراً من فرسانه فلما أصبح زحف إليهم ، فخرجوا إليه وهنا أندفع فرسان المسلمين الذين كانوا بالكمين فانقضوا عليهم وقتلوهم قتلاً ذريعاً وتقهقرت جموع أهل ماردة إلى المدينة ، وأغلقوا أبوابها فضرب موسى عليهم الحصار عدة أشهر دون جدوى ¹ ثم صنع المسلمون دبابة دبو تحتها إلى برج من أبراجها ، أخذوا ينقبونه ، فلما نزعوا كسوته الحجرية أفضوا في داخله ، فنبت عنها معاولهم وفؤوسهم ، وبينما كانوا يقومون بعملهم إذ خرج عليهم العدو عليهم على غفلة فاستشهد المسلمون تحت الدبابة فسمى ذلك البرج لذلك برج الشهداء ² .

وأستمر موسى محاصراً لماردة حتى سنة 94 هـ 713 م فدخلها صلحاً و صالح أهلها على أن تكون أموال جميع قتلى النصارى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحليها ملكاً للمسلمين ³ .

ثورة اشبيلية :

لما أنشغل موسى بن نصير بحصار "ماردة" انتهز نصارى " اشبيلية " الفرصة فاتصلوا برفاقهم في مدينة " لبللة المجاورة لهم وتم الاتفاق بينهم على الوثوب على اشبيلية وانتزاعها من يد العرب ، وقد تمكن هؤلاء بالفعل من تنفيذ خطتهم فتمكنوا من دخولها وقتلوا ثمانين من

⁴ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 59 .

¹ - مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ، ص 17 .

² - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص 96 .

³ - ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 21 .

حاميتها وبلغ الخبر ذلك إلى موسى بن نصير ، ولما أتم فتح ماردة وجه ابنه عبد العزيز على رأس جيش إلى اشبيلية فأعاد افتتاحها من جديد وأراد بعد ذلك أن يعاقب أهل لبلة على فعلتهم فسار إليها وحاصرها وتمكن من فتحها عنوة وقد استقامت له الأمور هناك⁴.

فتح مالقة :

لا يذكر التاريخ الكثير عن فتح مالقة وعن كيفية سير الجيش نحوها ولكن ما هو معروف بأن دليلاً كان يرافق القائد المسلم إليها ، وأن المسلمين افتتحوا في تلك الأنحاء مدينة مالقة وغيرها من القرى التابعة لرية ، ثم أتموا الاستيلاء على جميع أنحاء تلك المقاطعة وفر معظم المدافعين عنها إلى الجبال المرتفعة المنيعة ليلجأوا إليها ويجددوا مقاومتهم للمسلمين فيما بعد إذا استطاعوا .

فتح تدمير :

تدمير فالأصل اسم حاكمها لدى الفتح ، فسميت باسمه² وقد تم فتحها صلحاً على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقد أعطى الأمان لأهلها ولحاكمها تدمير سنة 94 هـ 713م .

لقاء موسى وطارق :

بعد أن ترك موسى بن نصير في تدمير جزءاً من جيشه للمحافظة على المدينة وسار بمعظم جيشه المتبقي إلى طليطلة وذلك للقاء طارق هناك ، وأقام في ماردة بعد افتتاحها لمدة شهر طلباً للراحة بعد المعركة ، تمهيداً لمتابعة الفتح في الجزء الشمالي من غرب الأندلس وكان موسى قد أدرك أن مراكز المقاومة القوطية بدأت تتجمع في هذه المنطقة بالذات ، وأقاموا هناك ينتظرون الفرصة المواتية للوثوب على جيش المسلمين³ فشرع موسى بأنهم ينصبون له كمين في طريقه إلى طليطلة فبعث موسى إلى طارق يستدعيه للحضور إليه مع مجموعة من

⁴ - الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 54 .

¹ - الصوفي ، خالد : تاريخ العرب في الأندلس ، دار النجاح (بيروت ، 1971) ص 135 .

² - الحميري ، محمد عبد المنعم : الروض المعطار في اخبار الاقطار ، ترجمة ليفي بروفنسال (القاهرة ، 1937) ص 151 .

³ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 97 .

جيشه ومقابلته بقواته في منتصف الطريق ما بين ماردة وطليلة⁴ فخرج طارق ملياً نداء موسى وسار مسافة قدرها مائة وخمسون كيلوا متراً في الطريق الموصلة ما بين طليلة وطليلة ، أما موسى فقد توقف بجيشه في وادي قريب من الموضع الذي تم فيه لقاءه مع طارق حيث استعرض قواته فاطلق على ذلك الوادي اسم وادي " المعرض " ⁵ ويختلف المؤرخون هنا حول طبيعة تصرف موسى حيال طارق فمنهم من يصف تصرفه بالاعتدال

ومنهم من يصفه بأقصى التطرف ، وهكذا فإن البعض يكتفي بذكر تعنيفه لطارق ولومه إياه لتوغله بالمسلمين أكثر مما يجب وعلى الرغم من أنه كان قد نهاه عن ذلك ، ذاكرين بأن القائدين قد تصالحا بعد ذلك وتابعا الفتح معاً ، بينما يتطرف آخرون فيذكر بعضهم أنه وضع السوط على رأسه وكاد أن يضربه به بل قيل إنه قنعه بالسوط فعلاً ، ويبالغ آخرون أكثر من ذلك فيقولون انه حلق له رأسه ، ووضع الأغلال في يديه ، على أية حال تابع موسى سيره بعد ذلك في الطريق إلى طليلة حيث التقى بطارق في موضع يقال له " تايد " ¹ وخرج طارق معظماً له ، ونزل بين يديه ² .

اتبع طارق وموسى الطريق الروماني الممتد من ماردة إلى شلمنقة عبر السيرا ، وصار في نقطة التقاء الطريقين الموصولين من ماردة إلى شلمنقة ، ومن ألبة دي تورميس إلى ثيودادر ودريجو ، ومضى من فج منسوب إليه بحذاء نهر سمي منذ ذلك الحين بوادي موسى ³ وانتهاز لذريرق فرصة عبور موسى لهذا الطريق الوعر وانقض بقواته على جيش موسى بالقرب من بلدة تاماس ، وهناك حدثت الموقعة الثانية سنة 713 م وفي هذه الموقعة لقي لذريرق مصرعه على يد مروان بن موسى بن نصير ⁴ وهزم القوط هزيمة نكراء .

⁴ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 97 .

⁵ - المرجع السابق ، ص 98 .

¹ - مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص 18 .

² - المقرئ : نوح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 255 .

³ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص 98 .

⁴ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 99 .

ثم دخل موسى وطارق مدينة طليطلة ، وهناك سلم إليه طارق الكنوز التي صادرها بالكنايس عند فتحه طليطلة وأقام بها موسى طوال فصل الشتاء من سنة 94 هـ يدبر أمرها ، ثم ضرب عملة ذهبية وأخرى برونزية لصرف مرتب الجند وذلك في دار السكة القوطية بطليطلة ثم بعث موسى رسولين من قبله إلى الوليد يخبرانه بالفتح هما مغيث الرومي ، وعلى بن رباح التابعي فدفعا إليه بالكتاب من عند موسى فخر ساجداً .

فتح شمال الأندلس :

تحرك الجيش الإسلامي بعد حلول فصل الربيع وأتجه نحو الشمال وكان ذلك في سنة 95 هـ - 714 م ، وقد تسلم طارق مقدمة الجيش ، بينما كان موسى في مؤخرته وسارا معاً بهذا الشكل إلى المنطقة التي عرفت بالثغر الأعلى فافتتحا سرقسطة دون قتال شديد وأقاموا هناك سوية مدة ينظمون أحوالها وأنشئوا فيها مسجداً¹ .

وأثناء سير الجيش في الطريق قام بفتح عدة مناطق حول سرقسطة ، كما فتح مدن أخرى مثل " وشقة " و " لاردة " و " و تراوغنه " و " برشلونه " حتى أصبحت المدن الرئيسية في الشمال في أيديهم ، ثم أرسل موسى طارقاً إلى جليقية وسار هو إلى البرنية ، فغزا سبتمانيا وأستولى على قرقشونة وأربونة وحصن لوزون على وادي ردونة " وهو نهر الرون " وقد انزعج لذلك ملك الأرض الكبيرة ، وخرج على المسلمين في جموع كثيرة لم تتمكن من أن تتال من المسلمين شيئاً واضطر ملك الفرنج إلى العودة إلى بلاده بعد أن أقام حصوناً على وادي ردونة ملأها بالمقاتلين وصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين² .

رأى موسى أن من الممكن مواصلة الفتح في جنوب أوروبا حتى يصل إلى مقر الخلافة " القسطنطينية " ولكن الخليفة لم يوافق على ذلك ، عند ذلك رأى موسى أن يوجه الجهد إلى إخضاع الأقسام الجبلية من الأندلس ، حيث كان المسيحيون يعتصمون بها في دفاع يائس ضد المسلمين .

وقد تمكن الجيش الإسلامي من دخول " جليقية " والاستيلاء على معظم قلاعها وطاردوا العدو الذي فر إلى جبال " أوسترياس " واعتصم بها ، فحاول موسى محاصرة العدو وإرغامه على الاستسلام جماعة بعد جماعة حتى لم يبقى سوى زعيم يدعى " بلاي " وقليل من أنصاره³ .

¹ - المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ، ص 277 .

² - المصدر السابق : ج1 ، ص 274 .

³ - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص 168 .

وبينما كان موسى يشدد عليه الحصار حتى كاد أن يلقي سلاحه ، إذا بالخليفة " الوليد " يرسل إليه " أبا نصر " متعجلاً إياه في العودة إلى دار الخلافة ، بعد أن استتبأ رجوعه إثر وصول رسوله الأول " مغيث الرومي " فعاد موسى تاركاً ذلك الزعيم ومن معه معتصماً بالجبال واستهان بهم المسلمون بعدهم في الأندلس فإذا بهم ينمون حتى كونوا المملكة النصرانية في الشمال التي قدر أن تتمكن بعد ثمان قرون من طرد المسلمين من الأندلس¹ .

وقبل أن يعود موسى إلى الشرق نظم شؤون الحكم بهذه البلاد الشاسعة ، فعين ابنه " عبد العزيز " على إمارة الأندلس وجعل مقره " أشبيلية " وعين ابنه الثاني " عبد الله " على إفريقية ، وابنه الثالث " عبد الملك " حاكماً على المغرب الأقصى ، وعهد " لصالح " بقيادة الأسطول وحماية السواحل وجعل مقره طنجة² .

رجوع موسى وطارق إلى المشرق :

بادر موسى وطارق ورسولا الخليفة بالعودة إلى جنوب الأندلس ، فوصلوا إلى طليطلة ومنها اتجهوا إلى قرطبة فإشبيلية ، وفي هذه المدينة الأخيرة استخلف موسى ابنه عبد العزيز سنة 95 هـ بعد أن اختارها له عاصمة الأندلس³ وترك معه حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع وزيراً له ومعيناً⁴ وعبر القائدان الزقاق إلى إفريقية يحملان معهما الغنائم ويجران خلفهما موكباً طويلاً من قواد المسلمين ، ورؤساء القوط المغلوبين ، ثم مضى إلى دمشق ماراً بمصر ومعه مائة رجل من أشرف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب ومواليها ، منهم عياض بن عقبة ، وأبو عبيدة وعبد الجبار ابن أبي سلمة ، والمغيرة بن أبي بردة ، وزرعة بن أبي مدرك ، وسليمان بن بحر ، كما خرج معه من البربر مائة رجل ، منهم أبناء كسيلة وملك السوس الأقصى ، وملك قلعة أوساف ، وملك ميورقة ومنورقة⁵ .

1 - الشطشاط : تاريخ الاسلام في الاندلس ، ص 58 .

2 - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص 169 .

3 - ابن عذاري : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 30 .

4 - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 106 .

5 - ابن قتيبة ، الامامة والسياسة : ص 141 .

كان الوليد بن عبد الملك مريضاً ، فكتب أخوه سليمان إلى موسى يأمره بالإبطاء رجاء أن يموت الوليد قبل قدوم موسى¹ فيقدم موسى على سليمان في أول خلافة بتلك الغنائم فيعظم بذلك مقامه عند الناس ، فأبى موسى أن يفعل ذلك وجد في السير حتى قدم دمشق والوليد حي ، فسلم له الأخماس والمغانم والتحف والذخائر ، فلم يمكث الوليد إلا يسيراً بعد قدوم موسى ثم توفي ، وأفضت الخلافة إلى سليمان فحقد على موسى وصب عليه جام غضبه² .

مصير طارق بن زياد :

التزمت الروايات التاريخية عن " طارق " صمتاً كاملاً فلا شك بأنه لم يلاق نفس المصير الذي لاقاه موسى بن نصير ، وإن كنا نجهل كل شيء عن حياة طارق بن زياد بعد عودته إلى دمشق ، فإن الشيء الوحيد الذي نعلمه هو أن الخليفة فكر بعد مدة قصيرة من عودة موسى وطارق أن يعود إلى تولية طارق على الأندلس فقد سئل الخليفة سليمان مغيئاً عن تولية طارق إلى ولاية الأندلس ، فأجاب (لو امر اهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا)³ .

وبهذه الإجابة خاف سليمان من استقلال طارق بتلك البلاد إذ وجد فيها من التأييد الشعبي ما يشجعه على الخروج عن طاعة الخليفة ، فعدل عن رأيه وابقى طارق في طي النسيان⁴ بعودة القائدين " موسى وطارق " يبدأ في الأندلس ما يعرف بعصر الولاة (95 – 138 هـ / 714 – 756 م) الذي استمر حتى وصول عبد الرحمن الداخل ، وفي هذا العصر كانت الأندلس ولاية عربية تابعة للخلافة الأموية بدمشق .

1 – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص 106 .

2 – المقرئ : نوح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج 1 ، ص 262 .

3 – علي حسين الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 62 .

4 – خالد الصوفي : تاريخ العرب في الاندلس ، ص 169 .

الفصل الثاني

النظم الإدارية

أولاً . النظم الإدارية في الأندلس قبيل فتح البلاد

ثانياً . النظم الإدارية في الأندلس خلال عصر الولاة

أ . تقسيم الأندلس في المصادر الإسلامية

ب . الاتجاه العربي في التقسيم الإداري

أولاً – النظم الإدارية في الأندلس قبيل فتح البلاد :

في الحقيقة يعد هذا الموضوع من أعسر موضوعات البحث في التاريخ الأندلسي ، لان المصادر لم توله كثيراً من الاهتمام ، نظراً لندرة البيانات الرسمية عن ولايات الدولة الإسلامية في الأندلس¹ وهي مع ذلك لا تعطينا صورة واضحة عن تقسيم الدولة الإداري وشؤونها المالية ، ويعتقد أن العرب الفاتحين لم يشغلوا أنفسهم بذلك لأنهم وجدوا في الأندلس نظاماً إدارياً مقررأ وثابتاً ، فساروا عليه دون الحاجة إلى إعادة التنظيم أو التخطيط ، إذ يجد الباحث أن الأندلس كان مقسماً إلى أقسام إدارية واضحة² بدليل أن كتب التراجم تذكر اسم الرجل وقريته وكورته وكان القوط قد فعلو مثل ذلك عندما دخلوا إسبانيا من قبل إذا أنهم اكتفوا بما وجدوه فيها من تنظيم كان الرومان قد وضعوه سابقاً فهم أول من قسم شبه جزيرة أيبيريا إلى أقسام إدارية ثم تطور هذا التقسيم شيئاً فشيئاً تبعاً لاتساع سيطرتهم على شبه الجزيرة ، وأول هذه التقسيمات كان سنة 216 ق.م وكانت إسبانيا تقسم بموجبه إلى قسمين كبيرين هما إسبانيا الدنيا وإسبانيا القصوى والثاني ما يعرف بتقسيم قسطنطين 377 م وكانت تقسم إلى ست ولايات أو أقسام هي نربونة وبراقرة وطركونة وطليلطة وماردة وإشبيلية وكانت تقوم في كل منها كنيسة يتبعها اسقفيات تقوم في المدن الداخلة في حوزتها.

غزا الرومان شبه جزيرة أيبيريا سنة 205 ق.م إذا أصبحت حسب التسمية العربية إقليماً رومانياً نشرو فيه الحضارة الرومانية والقانون الروماني والفن الروماني ، وأسس الرومان مدينة طالقة وجعلوها من أهم المراكز العمرانية في جنوب إباريه وخضع الإسبان لسلطان الرومان ، ثم ساروا على نهج نظمهم واقبلوا عليها إقبالاً شديداً وانتهى بهم الأمر إلى تعلمها واصطبغوا من الوجهة الاجتماعية بالصبغة الرومانية ، إلا أن اندماج إسبانيا في الجسم الروماني لم يتم إلا بفضل المسيحية على نحو لم يكن في الحسبان³.

¹ – حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 350 .

² – الإدريسي ، الشريف محمد بن محمد بن إدريس : نزهة المشتاق في اختراع الأفاق ، عالم الكتاب (بيروت ، 1989) ج 2 ، ص 540 .

³ – طرخان ، إبراهيم علي : دولة القوط الغربيين ، دار المعارف (القاهرة ، 1958) ص 21 .

كانت للرومان عناية خاصة بالتنظيم الإداري ، فلا تكاد ناحية من النواحي تدخل تحت سلطانهم حتى يخضعوها للنظام الإداري لدولتهم ، ويحددوا وضعها السياسي داخل الدولة أو علاقتها بها إذا كانت محالفة أو صديقة ، وكان مجلس الشيوخ لا ينفك يعيد النظر في النظم ويعدها أو يعيد وضعها بما يتفق مع الظروف القائمة ، فلما اختفت الجمهورية وجاء عصر الإمبراطورية تابع الأباطرة هذا الاهتمام ، ومن هنا كان لكل ولاية من ولاياتهم تاريخ إداري حافل بالتطورات ، وفيما يتصل بإسبانيا سار هذا التطور جنباً إلى جنب مع امتداد سلطان الرومان على الجزيرة وتمكن قبضتهم منها ، وتأثر إلى جانب ذلك بما قام في البلاد من ثورات أو حركات معادية للرومان وبهمنا من هذه التقسيمات كلها التقسيم الأول الذي وضع سنة 206 قبل الميلاد والتقسيم الأخير الذي تم في عهد دقلديانوس ، والذي يسمى عادة تقسيم قسطنطين أو قسمة قسطنطين¹.

فأما التقسيم الأول فهو الذي يجعل إسبانيا قسمين إداريين كبيرين ، يحكم كل منهما موظف كبير يلقب بروكنسل أولاً ثم بلقب برايتور فيما بعد ، هذان القسمان هما إسبانيا الدنيا وإسبانيا القصوى ، وقد كان هذا التقسيم أساساً لكل تقسيم جاء بعده في الفترة الرومانية ، فانقسمت إسبانيا القصوى في عهد الإمبراطور أجريبيا سنة 27 قبل الميلاد إلى ولايتي بيطول شدانية وفي أيام " كارا كالا " ظهرت ولاية إسبانيا الدنيا الجديدة الأنطونية وتضم إقليمي جليقية وأشتريس وفي عهد دقلديانوس ظهرت ولايتا إسبانيا الطركونية وإسبانيا القرطاجنية وتضم ست ولايات هي باطقة ولشدانية وجليقية وأشتريس والولاية الطركونية والولاية القرطاجنية ثم أضيفت إليها مرطانية الطنجية والجزائر الشرقية .

وقد تحدث البكري عن تقسيمات قسطنطين الإدارية فقال " وجدت الأوائل الأندلس بعبارات مختلفة وحدها قسطنطين حدوداً² ستته جعل الجزء الأول من حدودها من مدينة نربونة ، وهو حد ما بين غالوش " الغاليون " وبين الأندلس " إسبانيا " وأضاف إليها سبع مدن مما حوالها

¹ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 557 .

² - البكري ، عبد الله بن عبد العزيز : المسالك والممالك ، تحقيق البارون ماك جوكين (الجزائر ، 1840) ص

وهي بطرش وطليوشة ومقلونة ونومشو وقرقشونة وفي قرقشونة هذه الكنيسة العظمى عندهم تسمى مرية غرائية وفيها سبع اسورة من فضة ولها يوم عيد ترده العجم من الآفاق وبينها وبين برشلونة 25 يوماً

وجعل الجزء الثاني من مدينة براقرة وهو حوز جليقية وشلطيانة وهو بلد ابن غومس* وجعل لها اثنتي عشرة مدينة حولها منها : برطقال وتودي أوربة ومدينة لكة ومدينة برطانية ومدينة أشترقة ومدينة شنت ياقو ومدينة كنيسة الذهب ولها يوم يرد فيه من إفرنجة ومن روما ومن جميع نواحيهم كلها ومدينة ايرية ومدينة بطقة ومدينة شارة .

وجعل الجزء الثالث من مدينة طركونة وأضاف إليها مدينة سرقسطة ولاردة وطرطوشة وتطيلة وأعمال بلدان ابن شانجو كلها وبلد بليارش وبرشلونة وجرندة ومدينة أنبورش ومدينة بنبلونة ومدينة أوقة ومدينة قلهرة ومدينة طرسونة ومدينة أماية .

وجعل الجزء الرابع عشرين مدينة قاعدتها مدينة طليطلة وأضاف إليها مدينة أربوط ومدينة شقوبية ومدينة أركبيقة ومدينة وادي الحجاره ومدينة شفونة ومدينة أكشومة ومدينة بلنسية ومدينة بلازيا ومدينة أوربولة ومدينة أش ومدينة شاطبة مدينة دانية ومدينة بياسة ومدينة قسطلونة ومدينة منتيشة ومدينة وادي أش ومدينة بسطة ومدينة أرش وهي بجانة .

وجعل الجزء الخامس قاعدته مدينة ماردة وأضاف إليها اثنتي عشرة مدينة وهي باجة مدينة أكثونية ويابرة وشنترة وشنترين والاشبونة وقورية وشلمنتقة وصمورة وهي محدثة براً إلى شنت ياقوب .

وجعل الجزء السادس قاعدته مدينة اشبيلية وأضاف إليها لبله وقرطبة وقرمونة ومورور ومرشانة والجزيرة وتاكرتا ورية واشونة واستجة وقبرة واعمالها الى بجانة والبيرة وجيان ومنتيتة وباكرته وابذه وبياسة .

*المراد به على الأغلب غريه بن فرناندو الاول ملك جليقية في أيام البكري (ملك من 1065 إلى 1071م) .

وخلاصة كلام أبي عبيد البكري أن تقسيم قسطنطين يجعل إسبانيا ستة أقسام كبرى يسمها أجزاء ، وكل قسم يتبعه عدد من المدن كما يلي :

قسم نربونة : ويتبعه 7 مدن لم يذكر منها البكري الا خمسا هي ، بطرش ، طليوشة مقلونة نومشو — قرقشونة

قسم براقرة : وهو حوز جليقية وبلاد الكلت وتتبعه 12 مدينة لم يذكر منها البكري الا 11 هي برطق التوذي أوربة لكة بريطانية أشرقة شانت ياقو مدينة كنيسة الذهب إيرية بطاقة شارة .

قسم تركونة : ويتبعه 14 مدينة هي : سرقسطة أشقة لاردة طرطوشة تطيلة بليارش برشلونة جرنده أنبورش بنبلونة أوفة قلهرة طرسونة أماية وادخل في ذلك الجزء اعمال بلد ابن شانجة كلها نافار

قسم طليظة : ويتبعه 20 مدينة ذكر منها 18 هي أوريط شقوبية أركبيقة وادي الحجارة شغونة أكشومة بلنسية بلازيا أوربولة ألش شاطبة دانية يابسة قسطلونة منتيشة وادي أش بسطة أرش .

قسم ماردة : ويتبعه 12 مدينة ذكر منها 10 هي باجة أكشونية يابرة شنترة شنترينا لاشبونة قلمرية قورية شلمنتقية صمورة .

قسم أشبيلية : ويتبعه 17 مدينة هي لبلة قرطبة قرمونة مورور مرشانة الجزيرة الخضراء تاكرنا ريه أشونة استجه قبرة " وإعمالها " البيرة جيان منتينة باكرتة أبذه بياسة¹.

وهذا التقسيم ينطبق تماماً من حيث الأجزاء على التقسيم الكنسي لإسبانيا أيام القوط فقط كانت هناك ست مطرانيات تقابل تماماً أجزاء قسطنطين ، وينطبق كذلك على تقسيم دقلديانوس ويلاحظ أن تقسيم دقلديانوس لا يجعل نربونة داخلة في ديقونية إسبانيا ، وإنما في ديقونية غالة وكانت الاثنان تكونان مديريةية الغالتين ، وقد أضيفت إلى ديقونة إسبانيا في نفس عهد دقلديانوس ولاية مرطانية الطنجية ، وهي إقليم طنجة أو ما عرف فيما بعد باسم العدووة الأفريقية ، وفيما بين 370 و400 ميلادية أضيفت إلى إسبانيا ولاية الجزائر الشرقية .

¹ — حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 562 .

المدينة أساساً للتقسيم الإداري الروماني :

ومن الواضح أن هناك تشابهاً بين الأسس العامة التي سار عليها كل من الرومان والعرب في تقسيماتهم الإدارية فقد كانت المدينة هي الأساس الذي قام عليه التنظيم الإداري السياسي الروماني ، وكانت المدن هي المراكز التي اعتمد عليها العرب أيضاً في الحكم والإدارة ولقد انتفع العرب باهتمام الرومان بالمدن وتنظيمهم إياها وعنايتهم بإتقان بنائها وتزويدهم إياها بما استطاعوا تزويدها به من وسائل العمران المدني ، ففي الشام تعلق العرب بالمدن وتجمعوا فيها وجعلوها مراكز عسكرية وألحقوا بكل منها جانباً من الريف اعتبروه حوزاً للمدينة أو زمناً وهذا هو ما عرف بالأجناد ، أما في الأندلس فكان شأن المدن أهم ، وكان الرومان عندما دخلوا البلاد قد وجدوا فيها مراكز ومواقع عامرة بالناس بعضها يلتف حول مدن كبيرة وبعضها يلتف حول مدن بدائية أقرب إلى القرى¹.

وكان مفهوم المدينة عند الرومان مفهوماً سياسياً واجتماعياً خاصاً ، أخذوه عن الإغريق وأضافوا إليه وعدلوه بما يناسب الطبيعة العسكرية السياسية الخاصة بدولتهم ، وأصبحت المدينة مرادفاً لنظام سياسي يتضمن حريات وحقوق وواجبات معينة يعتبر الحصول عليها حصولاً على حق المواطنة الرومانية ، فإذا دخل الرومان بلداً قسموه أقساماً بحسب طريقة دخول نواحيه مع حوزتهم عنوة أو صلحاً أو بمحالفة أو ما إلى ذلك ، وقد يرفع الرومان مستوى بعض النواحي بعد زمن ويمنحوها حق المدينة أي حق المواطنة ، ولم تكن المدينة عندهم مجرد مدينة ، بل كان لها زمام محيط بها ، تابع لها حكمه كحكمها وسكانه مواطنون فيها ، لهم ما لها من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات وإذا كان هذا الزمام واسعاً قسم إلى أقسام ، لكل قسم اسم ينسب إلى قرية كبيرة أو إلى زراعة غالبية عليه أو إلى ظاهرة معينة تميزه كسند جبل أو جبل أو سهل أو ما إلى ذلك فلم تكن هناك نواح لا تتبع مدينة ما ، وإذا ذكرت مدينة قصد في نفس الوقت ما يتبعها من النواحي ، وقد ثبت الرومان زمامات المدن وفصلوا أمرها فيما أصدره من وثائق خاصة بها .

وعندما ظهر نظام الولايات في نهاية أيام الجمهورية الرومانية نشأت المديریات عن مجموعات من المدن وزماماتها وحددت مساحة كل منها بمعرفة لجنة خاصة من عشرة رجال

¹ - المرجع السابق ، ص 565 .

، وأصدر بمديريات كل ناحية من أملاك الرومان قانون خاص يحدد ما يتبع كلاً منها من المدن

وأحوازها ، وفيما يتصل بإسبانيا لدينا قانون أو قائمة ولايات إسبانيا الذي يحدد ما يتبع كل مديرية من المدن والنواحي ، وإذا كانت المديريات قد تكونت من زمامات ما أدخل في حوزها من مدن فإن الأساس الثابت للتقسيم الإداري في إسبانيا كان المدينة وحوزها ، فقد تغيرت حدود المديريات من عصر لعصر ، أما زمامات المدن فقد ظلت ثابتة وظلت هي الأساس ومضى الأمر على ذلك بقية أيام الرومان وأيام القوط أيضاً .

وقد تحدد أحواز المدن بالوثائق التي كان يصدرها الرومان ، فقد كانوا أهل تنظيم وترتيب وعناية بتسجيل كل شيء ، وقد كانوا إذا فتحوا بلداً اجتهدوا في ترتيب أرضه وأهله ، فأما الأرض التي وجدوها أو أدخلوها في حوزة مدينة فاحتفظ أهلها بالحقوق التي منحها الرومان للمدينة ، واعتبرت هذه الأرض بلدية من الناحية القانونية ، وأما الأرض التي استفتسوها أو وجدوها طلبة لا تتبع أحد فقد أنشئوا فيها المستعمرات وجلبوا إليها المعمرين لتعميرها لقاء ضريبة يؤدونها على أساس ما يمتلكه كل معمر من أرض ، أما المدن نفسها فقد اختلف وضعها بحسب علاقتها بالرومان ، فهناك مدن دخلت في طاعة الرومان صلحاً ، وهناك مدن دخلت في طاعتهم عنوة ، وكانت للرومان أسس قانونية خاصة بهذه المدن ، فمنها ما صالح الرومان بعقد صلح يجعلها حليفة لهم ، ومنها ما منحه الرومان وضع الحليف ، ومنها ما كان يمنح حق إنشاء مجلس بلدي له حق التصويت في المسائل الهامة ، ومنها ما لم يكن له هذا الحق ، ومنها ما كان يدفع للرومان جزية معينة ومنها ما كان معفى منها ، وكان للوضع الخاص بكل مدينة أثر عظيم في تاريخها خلال العصرين الروماني والقوطي ، سواً فيما يتصل بمركز البلد في الإقليم الذي يقوم فيه أو بطريقة حكومته لنفسه والحوار التابع له أو بعلاقته بالدولة المركزية ، الرومانية أولاً ثم القوطية بعد ذلك .

من المعروف أن أوضاع المدن قد تقارب بعضها من بعض خلال القرون الرومانية المتأخرة وأن أوضاع الناس قد تقاربت كذلك ، فلم يعد هناك إلا الأحرار والعبيد ، فأما الأحرار فكان

منهم أهل المدن الأصليين وأهل النواحي التابعون لبلديتها والمعمرون والزراع ، وكانوا كذلك إما مدنيين تابعين لمشيخة البلد ، أو أهل قبائل جرمانية لم يستقروا بعد تابعين لمشيخة القبيلة

وكانت تكون من المشيختين هيئة تسمى " تحية الانتخابات " تقوم بحكم البلد والحوز التابع له يتقاسم رجال المشيختين الوظائف فيها ¹ .

القوط والتقسيم الروماني :

لم يدخل القوط تغييراً ذا بال على هذه الأوضاع ، فقد حلوا في البلاد محل الرومان ، وكانوا من الناحية القانونية معتبرين مجرد نازلين في البلاد بمقتضى العرف الروماني المسمى " Hospitalities " وهو لفظ عسير الترجمة ، فمن الناحية اللغوية معناه " الضيافة " أما في الواقع فأخذ معنى الاستيلاء على نسبة معينة من الأرض والعقار أي أن " الهوسبي تاليتاس " كانت أول الأمر إذناً للقوطي في أن ينزل وعائلته ضيفاً على مزارع روماني مع إعطائه حق الملكية على ما يتنازل له عنه المزارع الروماني وينزله فيه من بيت أو أرض ، ثم أصبحت هذه الضيافة حقاً مقررراً للجرماني ، يستولي بمقتضاه على أرض وعقارات ، وربما أقطعت الدولة لحلفائها من الجرمان ناحية بأكملها ينزلون مزارعين مع أهلها ويكون لهم في الواقع حق ملكيتها ، ومهما كانت الصورة التي نزل بها القوط أرض الدولة فإن الأمر انتهى بتملك القوط لما نزلوا به من النواحي .

وكانت القاعدة في مثل هذه الحالة أن القوط كانوا يستولون على ثلثي الأرض ، ويتركون للمزارع الروماني أو اللاتيني أو الإيبيري الروماني الثلث فحسب ، أي أن كل قرية أو ناحية كانت تسلم ثلثي أرضها للنازلين بها من القوط ، وكانت القسمة تحدد تحديداً دقيقاً في حالة نزول الجرماني الأرض واشتغاله بالزراعة بيده أو بواسطة عبده أما في حالة عدم اشتغال الجرمان بالزراعة ، فكانت القاعدة أن يفلح الناس الأرض ويسلموا ثلثي الغلة للقوط وكانت

¹ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص 567 .

حصص القوط تسمى الأنصبة ، واحدها نصيب ، أما الباقي بيد أهل البلاد فكان يسمى بالأثلاث ، ولم تكن القسمة لتقتصر على الأرض ، بل كانت تشمل ما عليها من الدور والماشية والرقيق أيضاً ، وخرجت من القسمة أراضي الغابات ، وأراضي المراعي ، فقد تركت مشاعاً ، أما الأراضي التي كانت تملكها الدولة فقد وضع ملوك القوط أيديهم عليها ، في حين دخلت الضياع الكبيرة في القسمة أيضاً ، وانتقلت ملكيتها لكبار القوط .

وقد دخل القوط غالة وإسبانيا قبائل ، يرتبط أفراد كل قبيلة منها برابطة تقابل العصبية العربية تسمى " Sippy " وتسمى في المصطلح الروماني " Cantina " لأن الغالب أن كل قبيلة كان عليها أن تقدم للجيش القوطي مائة من المقاتلين ، وقد انحلت روابط العصبية القبلية القوطية بتقادم عهدهم في البلاد ، وخاصة فيما يتصل بالمزارعين منهم .

وقد أصاب المدن في الدولة الرومانية كلها اضمحلال عام ، حتى أنها أخذت تتلاشى ابتداء من القرن الرابع الميلادي نتيجة لغارات الجرمان واضطراب أمور الدولة وضياع الأمن وقد تحول بعضها إلى قرى أو حصون ، وأختفى بعضها الآخر تماماً ، وتحول غرب أوروبا كله إلى عالم زراعي قروي ، وانحطت فيه كل الظواهر المتصلة بالمدن كالتجارة والصناعة المنظمتين ، وتحول المجتمع الأوربي إلى مجتمع زراعي ، وهى الصفة الغالبة التي يوصف المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى المبكرة .

وإذا كانت أحوال الدولة الرومانية في عصورها المتأخرة قد أدت إلى اضمحلال المدن واختفائها شيئاً فشيئاً ، فإن الكنيسة احتفظت بالهيكل العام للتنظيم الروماني القديم ، فجعلت المديرية على تقسيم دقلديانوس وقسطنطين مديريات كنسية يمتد سلطان مطران كل منها على جميع النواحي التي كانت داخلة فيها في التقسيم الروماني وجعلت المدن الكبيرة الواقعة في الولاية ديقونيات يتولى كل منها أسقف ، وجعلت الأقاليم التابعة لكل مدينة من هذه أبرشيات يتولى كلاً منها " برش بطر " يعينه الأسقف ويناوله كتاب الصلوات وهو شارة التعيين ، وقد أحكمت الكنيسة هذا التنظيم واحتفظت به قائماً ، وأن تعارض مع الواقع ، فقد

تضاءلت مدن كانت كبيرة في العصر الروماني ولم تصبح غير قرى ، ومع ذلك ظل لأهلها الحق في أن يكون لهم أسقف ، وتلاشت مدن أبرشية تماماً ومع ذلك كان لها برش بطر يمثلها ويتحدث باسمها ، وأصبح هذا التقسيم النظري هو التقسيم الإداري في نظر الناس ولم يحدث هذا في إسبانيا وحدها بل في كافة بلاد الإمبراطورية الغربية التي دخلت شيئاً فشيئاً

تحت سلطان كنيسة روما ، وظل هذا الوضع قائماً حتى أقبل العرب وقضوا على القوط واتصلوا بالناس رأساً ليستعينوا بهم على تنظيم البلاد وأخذوا عنهم هذا النظام وأعطوه صفة إدارية مع تعديلات اقتضتها ظروف الدولة العربية الإسلامية¹.

ثانياً - النظم الإدارية في الأندلس خلال عصر الولاة

وقد قسمت البلاد إدارياً في البداية إلى أربع ولايات كبيرة يعين لكل واحدة حاكم مسئول أمام والى الأندلس عن إدارة شئون ولايته ، أما والي العام للأندلس فكان تعيينه من قبل والي أفريقية².

وتشمل الولاية الأولى الأراضي الواقعة بين البحر ونهر الوادي الكبير وما يلي هذا النهر إلى وادي بانا وأهم مدنها قرطبة وجيان وأشبيلية ومالقة .

وتشمل الولاية الثانية ، إسبانيا الوسطى من البحر المتوسط شرقاً إلى حدود " لوزي تانيا " غرباً وتمتد حتى نهر " دورو " في الشمال وأهم مدنها طليطلة وتونقا وسيقوبيا ووادي الحجارة وبلنسية ودانية ومرسيه وقرطاجنة ولأرقه .

وتشمل الولاية الثالثة جليقية ولوزي تانيا وأهم مدنها ماردة وباجة ولشبونة واستورقة وسمورة وشملنقة وغيرها .

¹ - المرجع السابق ، ص 571 .

² - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص 184 ، 185 .

وتشمل الولاية الرابعة المنطقة الممتدة من شاطي الدورو إلى جبال البرنية على شفى نهر الأبرو وأهم مدنها سرقسطة وطرطوشة وتواغنة وبرشلونة وتطيلة وبلد الوليد ووشقة وغيرها

وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية أنشئت ولاية خاصة شمال جبال البرنيه وتشمل أربونة ونيم وقرقشونة وبزيبه وأجدة ولوديف³.

وكان العرب والبربر يفضلون العيش في هذه المدن ، فتجمعوا فيها على شكل قبائل وفي حين أن هذا التجمع قد أفادهم في صد هجمات المسيحيين ، فإنه أدى إلى نمو روح المنازعات والأحقاد القبلية ، واستوطنت القبائل والشعوب مختلف أنحاء البلاد فسكنت

فصيلة دمشق في قرطبة ، وسكنت فصيلة حمص في اشبيلية ونبيلة ، وسكنت قنشرين في جيان ، وفصيلة فلسطين في شدونة والجزيرة ، وفصيلة الاردن في رية ومالقه ، وفصيلة فارس في شريش ، واليمن في طليطلة ، وفصيلة العراق في غرناطة ، وفصيلة مصر في ماردة ولشبونة ، واخيراً استوطن عشرة آلاف فارس من الحجاز ، مع أتباعهم في الداخل وأسس عبد العزيز الذي استخلفه أبوه موسى لدى رحيله إلى دمشق ديواناً لتطبيق القوانين والنظم الإسلامية حسب حاجات البلاد والعمل على مزج الشعبين " الشعب الفاتح وشعب البلاد الأصلي" ولقد استطاع عبد العزيز ، بفضل حكمته وتساهله ، أن يوفق بين جميع الطبقات فقد شجع شأن ملوك المغول الأولين في الهند التزواج بين الفاتحين وسكان البلاد الأصليين وجعل نفسه الأمثلة إذ تزوج من أرملة روزريق ، وكانت تدعى ايكولونا ، ولقبها العرب بأمرعاصم¹.

كان الاتجاه العربي في الأندلس يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن وربط المال ، بل يبدوا أن ذلك هو الاتجاه في الإدارة الإسلامية عامة ، فحوض دجلة والفرات مثلاً كان يضم ما لا يقل عن خمس عشرة كورة ولا يشذ عن ذلك إلا الشام ، فقد قسم إلى مناطق عسكرية كبيرة تسمى " الأجناد " .

³ - علي ، سيد أمير : مختصر تاريخ العرب ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1967) ص 119 ، 120 .

¹ - المرجع السابق ، ص 121 .

ثم إن النظم الإدارية الإسلامية كانت لا تميل إلى تجزئة الوحدات الإدارية إلى أجزاء والأجزاء إلى أجزاء أصغر كما رأينا في النظام الروماني والنظام الكنسي الذي قام على أساسه فاكتفى المسلمون بالكور ، كل كورة تتبعها مدن وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زماماتها ، وقد أدى ذلك إلى تبسيط السلم الإداري فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور ، وعمال الكور يتبعهم عمال المدن وهم المسؤولون عن زمامات المدن أو أقاليمها ، وجرت العادة أن يعين عامل المدينة عاملاً خاصاً بالمدينة نفسها يسمى " صاحب المدينة " ، ومن هنا فقد كان عدد الموظفين في الإدارة الإسلامية لا يبلغ خمس عددهم في الإدارة الرومانية ، وخاصة منذ أيام دقلديانوس الذي زحم الإدارات بالموظفين وجعلهم طبقات بعضها فوق بعض ، فنقل عبوهم على الخزانة من ناحية واتسع المجال لأكل أموال الدولة من ناحية أخرى .

وقد عرف الأندلس الإسلامي نظام الأجناد أو الكور المجندة ، وقد أخذ العرب هذا النظام عن البيزنطيين ، والمراد بها ولايات عسكرية ينزلها " جند " والجند خمس فرق من المحاربين

وهي تقابل " Tama " في التنظيم البيزنطي ويسميتها العرب البند والجمع بنود ، وهي تقابل الثغور ويحكمها قائد عسكري ، وكان الجند أول الأمر تنزله قبيلة واحدة أو عدة قبائل متحالفة ، ويكون لها خراج الناحية في مقابل تقديمها لجند كامل أي خمس فرق من المحاربين ولم يعرف نظام الأجناد إلا في الشام ، إذ قسمها المسلمون إلى أجناد خمسة هي فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين ، وتبعثها أول الأمر بلاد الجزيرة .

وقد كان نظام الأجناد من أوكذ أسباب قوة الدولة الأموية ، إذ ضمن لها المحاربين ، ومن الشام انتقل نظام الأجناد إلى الأندلس على أيام أبي الخطار الحسام بن ضرار سنة 125 هـ 743 م مع اختلاف واحد هو أن الجند في الشام كان يضم كوراً كثيرة أما في الأندلس فكان يقابل كورة واحدة ، ومن هنا يغلب على الظن أن أجناد الأندلس كان عليها أن تقدم أعداداً من الجند أقل من خمسة فرق ، وقد ظلت هذه الأجناد عصباً من أعصاب القوة العسكرية الأندلسية إلى منتصف حكومة عبد الرحمن الناصر على الأقل .

لقد أخذ العرب التقسيم الإداري من النظام الروماني والقوطي الذي وجدوه ، ثم عدلوه بعض الشيء بحسب ما اقتبسوه من نظام المشرق ومؤثراته ، ولكنهم تركوا نواحي الحدود والثغور كما هي مدناً عسكرية ذات أحواز ، ولم يتابعوا المشرق في التقسيمات الفرعية للكور والمدن فهم لم يقسموا الكورة والمدينة إلى رساتيق أو ما يشبهها ، لأن الرستاق كالكورة قسم زراعي يشتمل على مساحة مزروعة فيها قرى ولم تكن المساحات الأرضية هي أساس التقسيم في الأندلس ، بل كانت المدن وما يتصل بها من أحواز ، وإذا كانت المدينة تابعة للكورة في المشرق فإن الكورة هي التي تتبع المدينة في الأندلس ولهذا فقد قسمت الكورة أو المدينة في الأندلس إلى مدن أو نواح ، لكل مدينة أو ناحية حوز يسمى إقليم ، والأقاليم وحدات إدارية وجدها العرب بحدودها عند دخولهم فتنبوا هذه الحدود وحددوا ما عليها من المال ، كل إقليم يضم عدداً من القرى فهناك قرى تدفع العشور وهي بطبيعة الحال قرى الحبوب والزراعات وقرى تؤدي جبايات تحدد بحسب طبيعة إنتاجها ، وهي نواحي الثمار والأشجار والزيتون والغابات والصيد والمعادن وما إليها ، والقرية في ذاتها ليست وحدة بل الإقليم هو الوحدة .

ظلت المدينة أساس الكورة ، ولم تكن الكورة هي الأساس تتبعها المدينة ، ولم تكن المدينة في الأندلس بمعناها في المشرق مجموعة من الأبنية يحددها سورها ، بل بالمعنى الروماني نواة لإقليم أو أقاليم كل أهلها يعتبرون من أهل المدينة ، وقد اقتضى الأمر اعتبار الكثير من

مدن الجنوب وحدات مستقلة فجعلوها كوراً لأن مركز الثقل في الأندلس الإسلامي كان في الجنوب بينما اتسعت في الشرق والغرب ، أما الوسط ونواحي الشمال فقد ظلت مدناً بالمعنى الروماني القديم ، مدناً لها أحواز وفي أحوازها تقع مدن أخرى ذات أحواز .

وقد جرت العادة بأن تسمى المدينة الرئيسية بالأم والجمع أمهات والمدن الفرعية بالبنات مفردها بنت ، وقد تتحول الأم إلى بنت إذا زادت عليها في العمارة إحدى بناتها ، وكذلك حدث لا لبيرة ، فقد كبرت بنتها غرناطة وأصبحت الأم وعادت البيرة من بناتها ، ومثل ذلك حدث لبجانة إذ اختطت وعمرت واتسعت حتى صارت أم ، وتسمى المساحة التي تشغلها المدينة نفسها بخطة المدينة ، وقد تكون الأم أكبر مدن الناحية وأهمها دون أن تكون القاعدة

أو القصبة ، لأن القاعدة أو القصبة يشترط فيها الحصانة والمنعة وخاصة في نواحي الثغور وتسمى الضواحي بالأرباض مفردها ربيض إذا كانت صغيرة متصلة بعمارة المدينة ، فإذا كانت كبيرة منقطعة عن عمارة البلد سميت بالحاضر .

وكما تتبع المدينة مدن ، فكذاك تتبعها حصون ومعامل وقد كانت المعامل كثيرة جداً في الأندلس ، وقد تبع اعتبار المدن وأحوازها وحدات إدارية كاتباع الأنهار أو أجزاء منها للمدن التي تقع عليها أو الأقاليم التي تقع فيها وتسمية النهر باسم الإقليم هنا ليست تسمية جغرافية بل لها معنى التبعية الإدارية ، فقد كانت لهذه الأنهار أسماءها الجغرافية وكان العرب يعرفونها ولكن نسبة النهر تحمل معنى التبعية وكانت مجاري الأنهار الطويلة تقسم فيدخل كل قسم منها في حوز مدينة .

وكانت لمسلمي الأندلس من أول الأمر عناية بالموانئ نظراً لأهمية الصلات مع العدو الأفريقية ، وكانوا يسمون الميناء مرسى وهي تسمية لها معناها بالنسبة إلى طبيعة الموانئ الإسلامية في الغرب الإسلامي في العصور الأولى ويلاحظ أن أهل المغرب والأندلس دون غيرهم من أهل الدولة الإسلامية توسعوا في استعمال لفظ المرسى مقابلاً للميناء وخاصة فيما يتصل بما أنشأه المسلمون منها ، فهم يقولون مرسى الخزر ، ومرسى الدجاج ، ومرسى المرية ومرسى بجانه ، وما إلى ذلك أي أن الميناء كان يبدأ عادة بأن يكون مرسى للسفن ثم يتطور بعد ذلك فأصبحت مدن .

لقد ظهرت الضياع كذلك في الأندلس الإسلامي في أول الأمر ، وقد حالف أبناء غطشه القائد " طارق بن زياد " " أن يمضي لهم ضياع أبيهم وكانت 3000 ضيعة سميت بعد

ذلك صفايا الملوك " ¹ وقد أجابهم طارق إلى ذلك وقد خص " أرطابس " منها ألف ضيعة كان يفرق منها على العرب ، والضيعة الواحدة هي مقابل القصر في النظم الرومانية والضياع الكثيرة المتجاوزة تقابل اللاتيفونديوم " Latifundium ² ولقد استمر نظام الضياع في الأندلس واتسع مداه كما كان الحال في المشرق أيضاً ، ومصطلح " المنية " الذي كان شائعاً

¹ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 604 .

² - المرجع السابق ، ص 605 .

في الأندلس فتعريف المنية عندهم قريب من تعريف القصر مع وجود فرقاً واضحاً بين الضياع والمنيات ، فالضياع قرى تصير إلى ملك مالك كبير وربما أقام فيها ، في حين أن المنية ضيعة تنشأ حول قصر ريفي ينشئه المالك الكبير ، ولكن كليهما من حيث الهيئة والوضع يقابل القصور الرومانية ، ومعروف أن هذه القصور أيضاً كانت تختلف فيما بينها ففيها ما يشبه الضياع وفيها ما يشبه المنيات .

وهناك مصطلح آخر وهو مصطلح " الفحص " وهو كثير الاستعمال في المغرب وكانت الفحوص في الأندلس كثيرة ومعظمها أقاليم في كور ومدن ، فيقال اقليم الفحص من أعمال طليطلة ، أو من أعمال أكش ونية أو أشبيلية وأكبرها فحص البلوط الذي أصبح كورة فيما بعد.

كما كان لدخول العرب أحياء للمدن التي كانت تتلاشى رويداً رويداً في الأندلس قبلهم وأن ذلك الإحياء استتبع انتعاش مشيخات البلاد أو الكوريات الرومانية القديمة ، فقد أنبنى على ذلك فكرة المشيخات أو المجالس على كثير من النظم الإسلامية في الأندلس ، مما أدى إلى ظهور هيئات خاصة بالأندلس كهيئة " الفقهاء المشاورين " وجماعة الوزراء والمشيخة هي الطائفة وهذه كلها معان لم تعرف إلا في المغرب والأندلس ، وعندما قضا العرب على سلطان القوط عقدوا مع أهل كل بلد استسلم لهم عقداً أو معاهدة ، وكان التعاقد يتم مع الكورة القديمة وترجمها العرب إلى المشيخة ، وكانت هذه المعاهدات سبباً في إحياء مشيخات البلاد فأصبح في كل بلد مشيخة من أهله هي التي تتخاطب مع العرب وتضمن لهم الأمن والأموال فنشطت المشيخات وانتظم أمرها ، وعندما أسلم أهل البلاد احتفظوا بمجالسهم وهي مشيخاتهم ومن هنا كان للمدن في الأندلس نظام بلدي يرفع شؤونها وشئون أهلها ، وثبت صلاحية هذا النظام فامتد حتى شمل الحرفة ، فأصبح لأهل كل حرفة مشيخة أو مجلس ، ونشأت مشيخة

الفقهاء وهي جماعة من الفقهاء يتخذهم الأمراء والخلفاء مستشارين وسموا " الفقهاء المشاورين " ووزعت اختصاصات الوزير بين نفر من الوزراء كان لهم مجلس .

انفصال العرب عن أهل البلاد :

لقد كان أهل البلاد من النصارى واليهود عاشوا أول الأمر منفصلين عن العرب مستقلين بحكومة لأنفسهم ، وكان لهم رئيس أعلى يسمى " قومس الأندلس وزعيم عجم الذمة ومستخرج خراجهم لأمراء المسلمين " ¹ أي أنه هو الذي كان يتصل بأهل الذمة ويستخرج ما عليهم من الأموال ويؤديها للحكومة المركزية ، وكان تعامله مع مشيخات البلاد أي أن كل مشيخة كانت تجمع ضرائب بلدها وتؤديها إلى القومس ، وقد أقام العرب لكل ناحية حاكماً من المسلمين فأما حاكم الكورة فكان يسمى العامل أو الوالي ، وأما حاكم المدينة ذات الحوز فكان يسمى القائد ، لأنه كان يختار من العسكريين لأن هذه المدن كانت كلها ثغوراً أو مناطق عسكرية وكان حوز الكورة أو المدينة يسمى العمل أو النظر أو الولاية أو الحوز².

ولقد عاش العرب أول الأمر مستقلين بأنفسهم ، سواء من نزل منهم المدن أو من عاش منهم في الريف ، وانتشروا في البلاد ونزلوا النواحي وملكوا الأرض ، وكثرت وتمولت ، وغالبية هؤلاء من البلديين ، أما الشاميون فقد كانت لهم الصدارة ، كانوا عماد الجيوش وأصحاب الديوان والكتبة فيه ، وكان عليهم أن يقدموا للجيش المركزي لواءين لواء يخرج للغزوا ، ولواء يقيم على الأهبة ، واللواء الغازي لا يقيم في الغزو إلا ثلاثة أشهر ثم يعود ويخرج الثاني وكان لكل لواء أمير يرزق 200 دينار عن كل غزوة ، أما الجند وأقارب صاحب اللواء فكان الواحد منهم يرزق عشرة دنانير في نهاية كل غزوة ، وكانوا في مقابل هذه الخدمة الحربية المستمرة يعفون من أداء العشر ، ويستولون على ثلث أموال من نزلوا بأرضهم من أهل البلاد أي أن الدولة منحتهم حق ملكية ثلث هذه الأموال ، وكان القوط أيضاً كانوا يستولون على ثلث الأموال في مقابل الخدمة العسكرية ، كما كان يفعل الشاميون في وضعهم وحقوقهم وأقطاع المحاربين الثلث عرف غير إسلامي ، وإنما هو استمرار لتقاليد القوط مع خلاف واضح استتبعته العدالة الإسلامية ، فأن القوطي كان يستولي على الثلثين ويتترك لأهل البلد الثلث أما العرب فلم يسمحوا للمحارب منهم بغير الثلث وتركوا الثلثين لأهل البلاد .

¹ – ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد : الإحاطة في أخبار غرناطة ج1 (القاهرة ، 1956) ص 109 .

² – حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 608 .

أما العرب البلديون وهم القدامى من اليمنين والشاميين ، ومعظمهم من اليمنيين فقد اختلطوا بأهل البلاد وزرعوا وحصدوا وسقط عنهم التكليف العسكري ، غير أنهم كانوا يستطيعون الانخراط في ألوية خاصة بهم ، ولا يقدر عطاء إلا لرؤسائهم أصحاب ألويتهم ، أما المقاتلون منهم فلم يكونوا يعطون شيئاً وحسبهم ما كانوا يحصلون عليه من غنيمة وكانوا يدفعون العشر كغيرهم من زراع أهل البلاد ، في حين كان الشاميون معفون من العشور ، كما كان القوط معافين من الضرائب .

وكان أهل البلاد الأصليين غير ملزمين بالغزو بل كان يتطوع منهم من يريد ويقتد أسمه في سجلات المعسكر ولكنهم كانوا لا يرزقون شأنهم في ذلك شأن البربر والعرب البلديين ، وكانت تؤلف منهم قوات احتياطية يستعين بها الحاكم إذا خرجت جيوشه للغزو .

نظام الولاية :

فتحت الأندلس على يد عامل إفريقية " موسى بن نصير " بعث مولى من مواليه البربر هو أبو زرعة طريف بن مالك فاستطلعها له ، ثم بعث مولى آخر بربرياً هو " طارق بن زياد " ففتحها ، ثم عبر هو بنفسه فآتم هذا الفتح وأصبح أول ولايتها ، واعتبرت الأندلس جزءاً من المغرب يولى عليها عامل المغرب من يريد من رجاله ، كما اعتبرت إفريقية ولاية تابعة لوالي مصر في أول أمرها ، ولهذا ترك عليها ابنه عبد العزيز بن موسى حينما رحل إلى المشرق في أواخر سنة 95 هـ ، ولم يثبت الخليفة سليمان بن عبد الملك في الولاية ، فظل والياً معتمداً على وصاية أبيه له بالحكم ، فلما قتل عبد العزيز بن موسى انفرد جند الأندلس بإقامة واليهم فأقاموا أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير لم يوله والي إفريقية ولا الخليفة سليمان بن عبد الملك أيضاً ، ويبدو أن البربر كانوا أصحاب اليد الطولي في قيامه بالولاية .

وأراد سليمان بن عبد الملك أن يصحح هذا الوضع الشاذ ، فقرر أن يعيد هذا الحق إلى والي إفريقية ، فلما ولى على إفريقية محمد بن يزيد عجل هذا فبعث إليها الحر بن عبد الرحمن ويبدو أن الحر أحس أن عرب الأندلس سوف يعارضون في ولايته ، وسيدافعون عن هذا الحق الذي كسبوه لأنفسهم فاستصحب معه أربعمائة من وجوه إفريقية ليؤيدوه ، وقد قبله أهل الأندلس دون مقاومة ، ولم يكد المقام يستقر به حتى عجل ينقل دار الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة ، وربما كان دافعه إلى هذا رغبته في الابتعاد عن جماعات العرب التي استقرت

في إشبيلية وكثرت فيها ولم تسر الولاية في الأندلس على قاعدة واحدة ، بل كانت في يد الخلافة

المركزية حيناً وبيد عمال المغرب حين آخر وبيد مسلمي الأندلس أنفسهم في معظم الأحيان وكان هذا مظهراً من مظاهر الاضطراب الإداري الذي ساد الأندلس خلال هذه الفترة ، ولم يمتد سلطان الوالي على عرب الأندلس أجمعين إلا في النادر ، وكانت هناك دائماً جماعات كبيرة خارجة عن سلطانه بنواحيها ، ولم يزد سلطانه في أيام يوسف الفهري على إقليم قرطبة وقد أدى ذلك إلى قلة ما لديه من المال فهبط سلطان الوالي على البلاد خلال السنوات العشر التي سبقت قدوم عبد الرحمن الداخل هبوطاً بالغاً .

وكان جهد الولاية الأول قبل اندلاع نيران الثورة البربرية واشتداد منازعات العصبية منصرفاً إلى إتمام الفتح ومواصلة الغزوات فيما وراء البرنس ، وكان هذا هو عمل الولاية الأول حتى نهاية ولاية عقبة بن الحجاج السلولي ثم أنصرف عرب الأندلس عن ذلك انصرافاً تاماً تقريباً ولم يعد أمراء الأندلس إلى الغزو إلا بعد أن قامت الإمارة الأموية على يدي عبد الرحمن الداخل .

كذلك اهتم الولاية بشؤون المرافق العامة وذلك أثناء ولاية السمح بن مالك فقد ابتنى قنطرة قرطبة على الوادي الكبير وهذا هو المرفق الوحيد الذي حرص ولاية هذه الفترة على الاهتمام به بالإضافة إلى جبانة قرطبة التي أنشئت في زمن السمح بن مالك أيضاً¹ .

النظام المالي :

كان النظام المالي في الأندلس خلال عصر الولاية مضطرباً اضطراباً شديداً ، ولم يستطع ولاية الأندلس أن يخضعوا أرض شبه الجزيرة وعقارها للقواعد التي تقرها الشريعة للأرضيين والعقارات في البلاد المفتوحة² ، هذا على الرغم من أن موسى بن نصير قد حاول ذلك على أول الفتح ثم حاد عن النظم التي وضعها وأساء التصرف في الأموال وكان هذا من

¹ - ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 25 .

² - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 623 .

أسباب نكبته ، وكان ذلك من أسباب البلاء في الأندلس فيما بعد لأنها لم تترزق بعد ذلك بوال أتاحت له مواهبه وظروفه إعادة الأمور إلى نصابها الذي كان ينبغي أن تكون عليه ، حتى قامت الدولة الأموية في الأندلس.

أسس النظام المالي في الأندلس :

لقد أعتبر موسى بن نصير الأندلس ماعدا نواحي الشمال ، قد فتحت عنوة ، فأخذ خمسها لبيت المال ووزع الباقي بين الفاتحين وأخذ جزءاً من خمس السبي فبعث به إلى الوليد بن عبد الملك وأطلق الباقي في أرض الخمس ليزرعوه وليتث مال المسلمين أي يؤدوا ثلث المحصول أو ثلثيه للمسلمين .

ولما كانت أيام سليمان بن عبد الملك ، وواليه على الأندلس الحر بن عبد الرحمن ، أقبلت معه جماعة من العرب من وجوه إفريقية وكان عددهم أربعمئة فقط فأراد جند السماح النزول معهم في أموالهم ومشاركتهم فيما بأيديهم ، فوفد على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وشكوا إليه ذلك ، ورجبوا إليه في الرجوع إلى بلادهم وأدالتهم بمن ورد مع السماح فمنعهم من ذلك وأنسهم وعقد لهم ، وأشهد في عقدهم على إقرارهم في أموالهم ، وأقطع الواردين مع السماح أقطاعات غيرها وقال " هذه الثغور الهندية لولا أقطاعات عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجند فيها لم يسدها فكيف بتلك الناحية ؟ فإننا نستخير الله في إجلاء المسلمين عنها ، ثم إنه لم ينفذ ذلك ليبلغ الكتاب أجله ¹ .

وفي أيام عمر بن عبد العزيز كان هناك دافع إلى النهوض لإتمام ما كان موسى بن نصير قد بدأ به من تنظيم أرض الأندلس وتخميمها ، لكي يجد لبيت المال أرضاً غير التي استنفذتها أقطاعات العرب ، ولكي يجد أرضاً يقطعها للذين يقبلون منهم .

¹ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 627 .

واستطاع السماح بن مالك أن يقوم بجزء من ذلك العمل ، وبدأ بإقليم قرطبة فأخرج خمسة فجعل جزءاً منه جبانة للمسلمين ، وهكذا ظلت أرض الأندلس وأموالها دون تحديد أو تنظيم ولم يفعل أحد بعد ذلك شيئاً حتى قيام الدولة الأموية² .

²- المرجع السابق ، ص629

الإدارة والجيش :

عرف المسلمون الشورى في حكمهم منذ زمن الرسول وكان الخليفة يستشير خواص مملكته وأهل الرأي فيهم حتى في أشد العهود الإسلامية استبداد وظلماً ، وانتقل الوضع ذاته إلى الأندلس ولما طلب من أبي الحزم ابن جمهور أن يستلم مقاليد الأمور اشترط أن يكون إلى جانبه مجلس من أهل الرأي يستشيره في كبريات المشاكل ، وكانت التقوى ترد الحكام والخلفاء إلى الصواب بمجرد أن يستمعوا إلى نصيحة من نصائح الدين ، وكان القرآن مرجعهم الأخير مهما شذ الوالي أو الأمير في ولايته واستبد .

لقد أوجد الأندلسيون منصب الحاجب أو كبير الوزراء الذي يكون حلقة الوصل بين الوزراء وبين الخليفة وبذلك عرفت الأندلس تعدد الوزراء وتنوع اختصاصاتهم بل انها قد عرفت ما يسمى مجلس الوزراء ، وعرف الأندلسيون كما عرف الشرق من قبلهم استقلال القضاء وسلطانه واستعلاءه على المتقاضين ، مهما بلغت درجاتهم وأن كانت الأندلس قد عرفت نوعاً من قضاء الخاصة ، وقد أوجدوا في مجالس القضاء ما يسمى بالشهود العدول الذين يشبهون المحلفين في بعض الأنظمة القضائية المعاصرة ، وقد عرف الشرق أمثالهم إلا أن الأندلسيين عرفوا بالدقة في اختياراتهم ، وأنهم كانوا لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيبيع حقوق الدين¹.

وأما خطة الاحتساب فأنها عندهم موضوعة في أهل العلم والفتن² وكان صاحبها قاضياً والعادة فيه أن يمشي بنفسه راكباً إلى الأسواق وأعوانه معه وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم وكذلك للثمن وفي ذلك من المصلحة أن يرسل المبتاع الصغير أو الجارية الرعاء فيستويان فيما يأتیان به من السعر مع الحاذق في معرفة الأوزان وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره ولا

¹- الدغلي : الحياة الاجتماعية في الأندلس ، ص60
²- المرجع السابق ، ص06

يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدد له المحتسب في الورقة ولا تكاد تخفى خيانتته فإن المحتسب يدس عليه صبياً أو جارية يبتاع أحدهم منه ثم يختبر الوزن المحتسب فإن وجد نقصاً قاس على ذلك حاله مع الناس فلا تسأل عما يلقي¹ ، وكان للاحتساب اختصاصات وأعمال فكان المحتسب وأعوانه يتفقدون النظافة ويحافظون على الصحة وكان الخباز مجبراً على أن يأتزر بإزار أبيض نظيف وكان العجان مجبراً على أن يحلق إبطيه مخافة أن يسيل العرق على العجين ، وكان من حقهم مراقبة الأبنية بحيث لا يسمحون أن تسيل من سطوحها مياه تؤذي المارة وكان للمحتسبين حق تفتيش الكتائب حتى لا يفرط شيوخها في ضرب التلاميذ وإيلاجهم ، فقد كانت الحسبة تقوم بكل ما تطلبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان للشرطة كذلك تنظيماتها ، وقد أعطى بعض المتنفذين من أصحابها صلاحية القتل عند توجبه دون استئذان السلطان وكانت عينها حاضرة في كل مكان ساهرة على الأمن " إن بلاد الأندلس لها دروب بإغلاق تغلق بعد العتمة ولكل زقاق بئنت فيه له سراج معلق وكلب يسهر وسلاح معد ، وذلك لشطارة عامتها وكثرة شرهم وإعيائهم في أمور التلصص إلى أن يظهروا على المباني المشيدة ويفتحوا الإغلاق ويقتلوا صاحب الدار خوف إن يطالبهم بعد ذلك ، ولا تكاد الأندلس تخلوا من سماع دار فلان دخلت البارحة وفلان ذبحه اللصوص على فراشه وهذا يرجع التكثر منه والتقليل إلى شدة الوالي ولينه وقد آل الحال عندهم إلى أن قتلوا على عنقود سرقة شخص من كرم وما أشبه ذلك " ² .

وقد استدعى ازدياد الصراع بين العرب والفرنجة إيجاد جيش قوي ، وسلكت الفروسية التي كانت شائعة في أوروبا سبيلها إلى الأندلس ، ولم تكن الفروسية وفقاً على العرب وحدهم بل كان ميدانها واسعاً بحيث شمل المولدين وكان للخلفاء والأمراء وأبنائهم من الفروسية نصيب وافر فكانوا يقودون الجيوش ويباشرون القتال ، هذا وقد دخلت في الجيوش عناصر أجنبية ومرترقه من قبل العهد الأموي ومن هنا كانت هزيمة عبد الرحمن الغافقي ومصرعه في

¹ - المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ، ص 203 .

² - المصدر السابق ، ص 197 .

الشهداء ، وكان هذا الجيش قد اقتبس الكثير من عادات أعدائه واتخذ أزيائهم فكانت محاربتهم بالتراس والرمح الطويلة للطعن ولا يعرفون الدبابيس ولا قسي العرب بل يعرفون قسي الفرنج وكثيراً ما تزين سلاطينهم وأجنادهم بزى النصارى المجاورون لهم فسلحهم كسلحهم وكذلك أعلامهم وسروجهم¹ غير أن الاقتباس كان متبادلاً بين الفريقين وكان المسلمون قد أجادوا استعمال النفاث وهي آلة تشبه المدفع في أبسط أشكاله واستخدموه في حروب الصليبيين وأتقنها الأندلسيون وأخذة الإسبان عنهم وزادوا في تحسينه واتخذوه وسيلة فعالة لدك الحصون فكان هذا قوة كبيرة في انتصار الإسبان .

واستفادت الأندلس من موقعها البحري كسبه جزيرة تتصل بالأطلسي والمتوسط فعرف الأندلسيون ركوب البحر وحربه كما عرفوا حروب البر واشتهرت المريئة بأنها كانت مرسى للأسطول الإسلامي وكان فيها دار صناعة² .

نظام القضاء :

كانت للقضاء أهمية خاصة في الأندلس ، وربما لم يبلغ القضاء في بلد من بلاد الإسلام ما بلغوه من علو المكانة ووفرة السلطان وبعد الجاه في الأندلس والمغرب ، فقد كان القضاة في الأندلس يسمون قضاة الجند حتى أتى عبد الرحمن الداخل ، فأصبح القاضي يسمى قاضي الجماعة ، وكان أول قاضي للجماعة " يحيى بن يزيد " ، ثم تلاه " معاوية بن صالح " وكان يلقب رسمياً بقاضي الجماعة ، ففي فترة الولاة كان المسلمون هم الجند ولهذا كان القاضي قاضيتهم ، فلما قامت الدولة الأموية واجتمع حولها الناس وكان الإسلام قد انتشر أصبح القاضي يسمى قاضي الجماعة كذلك يوجد قاضي للجند وقاضي للعسكر فأن وظيفة قاضي العسكر نشأت بعد تسمية قاضي الجند بقاضي الجماعة واضطراره إلى الاستقرار في العاصمة ومست الحاجة إلى إقامة قاض خاص بالعسكر يخرج مع الجيش ويعود معه فقد كان يحيى بن يزيد قاضياً للجند ثم صار قاضياً للجماعة مع احتفاظه بقضاء الجند فكان يخرج مع الأمير في الغزوات واستمر ذلك أثناء قضاء معاوية بن صالح ثم اختص قاضي الجماعة بالحاضرة ، وأصبح أشبه بقاضي القضاة وأتاب عنه قاضياً آخر للعسكر ، ويبدو أن حق

¹ - الحميري ، أبي عبد الله محمد ، الروض المعطار ، صفة جزيرة الأندلس ، (القاهرة ، 1948) ص 289 .
² - الدغلي ، محمد سعيد : الحياة الاجتماعية في الأندلس ، دار أسامة (الأردن ، 1948) ص 65 .

تولية قاضي الأندلس لم يتقرر على وجه محدد في فترة الولاية فقد كان عامل الأندلس يوليه أحياناً ، ويبدو أن العامل كان يقوم بالقضاء بين الجند بنفسه قبل ذلك ، وكان عقبة بن الحجاج قد اتخذ مدينة أربونة في الأندلس مقراً له فاستخلف مهدي بن مسلم وقد عرف بالعلم والورع على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها وتركه في قرطبة وخرج بالجند ليقوم بقضائهم بنفسه ، وكان عقبة بن الحجاج قد أمر مهدي بن مسلم أن يكتب عنه عهداً لنفسه وقد أجاد مهدي كتابة ذلك العهد حتى أصبح أقرب إلى دستور للقضاء مما جعل أحد ولاية إفريقية ينقل نصه وأصدر به أمراً بتولية أحد قضاة ، مما يدل على مكانة هذا العهد وأحكامه أي أن نظام القضاء قد تقرر على أصول منظمة من أول الأمر ولم تدخل فيه بعد ذلك إلا تعديلات طفيفة تقرر لنا ناحية إيجابية جديرة بالإعجاب لعهد الولاية في الأندلس ، ففي ذلك العهد كان قضاة إفريقية يجرون في أعمالهم على وجه مرتجل غير منظم .

وكان ثاني قاضي في عهد الولاية هو "عنتر ابن فلاح" وقد كان حريصاً على مصالح الناس لا يقصر عن التضحية في سبيلهم ، وكان عنتر لا يحسن الارتجال ، حتى ليقال إنه كان إذا قام خطيباً أسدل على وجهه نقاباً ويقول " متى لحظت الناس لم أصل كلاماً " ولكن سخرية الأندلسيين أثبت إلا أن تزعم " أن خطبته كانت مكتوبة في صحيفة مشبكة في الثوب المسدول على وجهه " ¹ .

وكان ثالث قضاة عصر الولاية في الأندلس " مهاجر بن نوفل " القرشي رجلاً ورعاً تقياً لا أكثر إذا تخاصم الناس أمامه لم يزل يعظهم ويخوفهم ويتحصر على نفسه ويبيكي حتى ينصرفوا من عنده " باكين وقد تعاطوا الحقوق بينهم ² وكان آخر قضاة عصر الولاية في الأندلس هو يحيى بن يزيد التجيبي ، وهو أول من تسمى بقاضي الجماعة ، وحين دخل عبد الرحمن ابن معاوية قرطبة ثبته في مكانه ، وكان قوي الشخصية لا يكاد يهاب أحداً فقد حدث أن يوسف الفهري فجأ قرطبة في غياب عبد الرحمن الداخل وظفر بجارتين لعبد الرحمن فتعرض له القاضي وقال له " يا لئيم عبد الرحمن ظفر ببناتك وكراميك فتلوم عليهن حتى نقلن إلى دارك وأنت ظفرت بجارتين له لم يستحقا منه حرمة فأخذتهما " فتذمم الفهري وقال " والله ما رأيت لواحدة منهما وجهاً فأقبضهما وبري بهما إليه ، ولما دخل عبد الرحمن الأندلس وقامت الحرب

¹ - الخشني ، محمد بن الحارث بن اسد القيرواني الأندلسي : قضاة قرطبة ، دار الكتب الإسلامية (القاهرة ، ب ، ت) ص 25 ،

26 .

² - المصدر السابق ، ص 27 .

بينه وبين الفهري وأنصاره اعتزل يحيى الجند ولم يغمس يده في الدماء ، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن أجاب إليها طائعا¹ .

ثبت بولاية الأندلس :

مر عصر الولاية في الأندلس بأكثر من والي من لدن الفتح إلى قيام دولة عبد الرحمن بن معاوية " الداخل " .

1 . عبد العزيز بن موسى

من صفر 95 هـ / أكتوبر - نوفمبر 713 م إلى رجب 97 هـ / مارس 716 م

كان أول الولاية بعد الفتح الإسلامي للأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي أسند إليه أبوه ولاية الأندلس قبل توجهه إلى المشرق وجعل اشبيلية مقراً لولايته ، وأهم الأعمال التي قام بها هو تثبيت أقدام المسلمين في الأندلس .

2 . أيوب بن حبيب اللخمي

بعد شهور من مقتل عبد العزيز إلى ذي الحجة 97 هـ / أغسطس 716 م كان أول ولاية الأندلس بعد عبد العزيز بن موسى ، أيوب بن حبيب اللخمي لم يقم هذا الوالي بأعمال تذكر سوى نقله للعاصمة الإدارية من اشبيلية مقر الوالي السابق إلى قرطبة .

3 . الحر بن عبد الرحمن الثقفي

من ذي الحجة 97 هـ / أغسطس 716 م إلى رمضان 100 هـ / مارس أبريل 719 م قدم الأندلس في ذي الحجة سنة 97 هـ 716 م ومعه أربعمائة رجل من وجوه إفريقية ، وبقي في الولاية ما يقرب من ثلاث سنوات ، ثم استبدله الخليفة عمر بن عبد العزيز بالسمح بن مالك الخولاني .

4 . السمع بن مالك الخولاني

¹ - المصدر السابق ، ص 28 .

من رمضان 100هـ / مارس - أبريل 719م إلى ذي الحجة 102هـ / يونيو 721م لعل من أهم الأعمال التي قام بها السمح هو بناؤه للقطرة على نهر الوادي الكبير في قرطبة والتي ما زالت آثارها قائمة حتى هذا الوقت .

5 . عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي : المرة الأولى

من ذي الحجة 102هـ / يونيو 721م - صفر 103هـ / أغسطس 721م

لم تدم ولايته طويلاً حيث بقى أقل من شهرين ، لم يستطع خلال هذه الفترة البسيطة أن يقوم بأي عمل يذكر¹ .

6 . عنبسة بن سحيم الكلبى

من صفر 103هـ / أغسطس 721م إلى شعبان / يناير 726م

سار على سنة سلفه في العناية بالأمور الداخلية في الولاية ، فقد نظم الخراج ، وقسم الأراضي بين المسلمين بدون جور على الأراضي التي لها ملاك أصليون من الأهالي ، وكان يأخذ العشر من الذين خضعوا للمسلمين بدون قتال والخمس ممن لم يخضعوا الا بالسيف ، وطاف عنبسة في مختلف المقاطعات ينظر في مظالم الناس وينشر العدل بينهم بدون تمييز بين المواطنين مختلفي الاديان .

7 . عذرة بن عبد الله الفهري

من شعبان 107هـ / يناير 726م إلى شوال 107هـ / فبراير - مارس 726م

لم يبقى عذرة في الحكم سوى زمن قصير جداً .

8 . يحيى بن سلامة العاملي الكلبى

من شوال 107هـ / فبراير - مارس 726م إلى ربيع الأول 110هـ / يونيو - يوليو 728م

أقام عليها سنتين وستة أشهر لم يقم خلالها بأية غزوة بنفسه .

¹ - خالد الصوفي : تاريخ العرب ، ص218 كذلك الشطشاط : تاريخ الإسلام ، ص75 .

9 . حذيفة بن الأحوص القيسي

من ربيع الأول 110هـ / يونيو - يوليو 728م إلى شعبان 110هـ / نوفمبر - ديسمبر 728م

كانت ولايته أقل من سنة .

10 . عثمان بن أبي نسعة الخثعمي

من شعبان 110هـ / نوفمبر - ديسمبر 728م إلى المحرم 111هـ / أبريل 729م

بقي في ولاية الأندلس حوالي خمسة أو ستة أشهر فقط .

11 . الهيثم بن عبيد الكناني

من المحرم 111هـ / أبريل 729م إلى ذي القعدة 111هـ / يناير - فبراير 730م

كانت ولايته حوالي عشرة أشهر ، وقد توفي الهيثم بعد سنتين من ولايته .

12 . محمد بن عبد الله الأشجعي

من ذي القعدة 111هـ / يناير - فبراير 730م إلى صفر 112هـ / مارس - أبريل 730م

تولى الأمانة لمدة شهرين حتى أسندت إلى عبد الرحمن بن علي الغافقي

13 . عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي : المرة الثانية

صفر 112هـ / مارس - أبريل 730م إلى رمضان 114هـ / أكتوبر 732م

تولى ولاية الأندلس في الفترة التي انبعثت فيها الفتنة بين العرب في الأندلس بسبب العصبية القبلية ، وكان عبد الرحمن معروفاً بحسن القيادة والشجاعة وقوة الشكيمة ، كما عرف بنزاهته وحياده ، بحيث لا يتحيز لفريق دون الآخر ، ولا يتعصب لعنصر على عنصر آخر ، ولذلك قوبلت ولايته بفرحه عمت قلوب أهل الأندلس ، واستبشر الناس بولايته خيراً ، وبدأ عهده

برفع المظالم عن الناس وكان يطوف في المدن ويحقق في شكايات الرعية ، لا يميز بين مسيحي ومسلم ، وعزل كثيراً من القواد والمسؤولين الذين ثبت ظلمهم للرعية¹.

14 . عبد الملك بن قطن الفهري : المرة الأولى

من رمضان 114هـ / أكتوبر 732م - شوال 116هـ / نوفمبر 734م¹

أرسل والياً على الأندلس في جيش من خيرة جند إفريقية ، وأمر بالعمل على حماية الأندلس واسترجاع هيبة المسلمين وتثبيتها في جنوب فرنسا ، وقد دخلها في شوال من سنة 114 هـ وكانت مدة ولايته سنتين .

15 . عقبة بن الحجاج السلولي

من شوال 116 هـ / نوفمبر 734م / صفر 123هـ إلى يناير 741م

ولي على الأندلس فأقام خمس سنين محمود السيرة مجاهداً مظفراً حتى بلغ المسلمون أربونة في الشمال وصار رباطهم على نهر ردونة ثم وثب عليه عبد الملك بن قطن الفهري سنة إحدى وعشرين ومائة فخلعه وقتله ، وقيل إن عقبة بن الحجاج لما حانت وفاته استخلف عبد الملك الفهري على الأندلس .

16 . عبد الملك بن قطن الفهري : المرة الثانية

من صفر 123 هـ / يناير 741م إلى ذي القعدة 123هـ / سبتمبر 741م

صاحب فترة ولايته هذه قيام الثورات وانتشار الفتن ، واضطراب الأحوال في الأندلس

¹ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص141
¹ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص 622 .

17 . بلج بن بشر القشيري

من ذي القعدة 123 هـ / سبتمبر 741 م إلى شوال 124 هـ / أغسطس 742 م

حدثت أثناء ولايته معركة بينه وبين أبناء عبدالمك الفهري انتصر خلالها عليهم ولكنه قد أصيب بجراح توفي منها بعد أيام ، فولى أصحابه عليهم ثعلبة بن سلامة العاملي ليكون وأليا على الأندلس .

18 . ثعلبة بن سلامة العاملي

من شوال 124 هـ / أغسطس 742 م إلى رجب 125 هـ / مايو 743 م

حاول ثعلبة في الفترة الأولى من حكمه إصلاح البلاد ونشر العدل بينهم ، ولكنه ما لبث أن مالت به العصبية اليمانية ففسد أمره وهاجت الفتنة ، واستمر ثعلبة على هذا الحال إلى أن ورد عليه أبو الخطار بن الحسام الكلبى واليا من قبل حنظلة بن صفوان والي إفريقية .

19 . أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى

من رجب 125 هـ / مايو 743 م إلى رجب 127 هـ / أبريل 745 م

كان أول عمل قام به أبو الخطار بعد وصوله هو إطلاق الأسرى والسبي الذين كان يريد ثعلبة بن سلامة قتلهم أو بيعهم وإذلالهم ، وعمل على إحلال السلام فصارت الكلمة جامعة ، وحاول أن يعيد الأمن والسكينة إلى البلاد ونادى بالتسامح والعدل فأحبه الناس واجتمع عليه أهل الشام وعرب الأندلس ومن أهم الأعمال التي قام بها تفريقه للجند على عدة مدن ، حيث كانوا متمركزين في العاصمة قرطبة لهذا عمل على توزيعهم ، وأنزلهم في مدن مختلفة تشبه بلادهم الأصلي .

20 . ثوابه بن سلامة الجذامي

من رجب 127هـ / أبريل 745م إلى المحرم 129هـ / سبتمبر - أكتوبر 746م

أعقبت موته أربعة أشهر من الاضطراب تولى الأمر خلالها عبد الرحمن بن كثير اللخمي
دون ولاية

21 . يوسف بن عبد الرحمن الفهري

(بالاشتراك مع الصميل بن حاتم)

من ربيع الثاني 129 هـ / يناير 747م إلى 10 ذي الحجة 738 هـ / 14 مايو 756م

وهو تاريخ بدء إمارة عبد الرحمن بن معاوية " الداخل " .

تقسيم الأندلس في المصادر الإسلامية

لا تجمع المصادر الإسلامية على استخدام اصطلاحات محددة في تناولها للأقسام الإدارية في الأندلس ، ومرجع ذلك إلى تداخل هذه الاصطلاحات واختلاف مدلولاتها بين المشرق والمغرب ، إضافة إلى أنها لم تستقر لدلالاتها إلا في وقت متأخر نسبياً ، ومما يوضح ذلك إن اليعقوبي (ت 284 هـ / 897 م) لم يسم في الأندلس إلا كورة واحدة على حين ذكر فيه إحدى وعشرين مدينة¹ بينما ذكر الاصطخري (ت 346 هـ ، 957 م) أربع كور وثلاثين مدينة².

أما ابن خرد أذبة (ت 300 هـ / 912 م) فلم يذكر إلا كورة ، واكتفى بذكر خمس مدن من أربعين مدينة قال إنها فيه³ وابن حوقل الذي زار الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري لا يعطينا صورة واضحة عن النظام الإداري في الأندلس ، فهو يذكر مدنه ، ولكنه لا يذكر كوره سوى ثلاث هي ، تدمير ، ورية ، وفحص البلوط ، أما الدمشقي وهو متأخر (ت 727 هـ - 1327 م) فيذكر من كور الأندلس إلى جانب كورة تدمير كورتي جيان وشذونه ، ثم هو إلى جانب ذلك يعدد مدنه ، مما يعني أن معظم الجغرافيين المشاركة يركزون على ذكر المدن في الأندلس أكثر من تركيزهم على الكور ، ويرجع الخلط بين الكورة والمدينة إلى أن المدن في الأندلس كانت تتبعها أقاليم أو احواز شأنها في ذلك شأن الكور ، وفي ذلك يقول ابن حوقل " أن الأندلس لا يوجد فيها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح " ⁴ والرستاق والإقليم سواء عند الأندلسيين ، وهذا هو السبب الذي جعل الجغرافيين المشاركة يعتقدون أن كل مدينة أندلسية لها أقاليم هي كورة ، يقول المقدسي (ت 387 هـ ، 997 م) وهم يسمون الرستاق إقليماً فعلمت إنها " المدينة " كورة على قياسنا .

1 - اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب : البلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ، 1883) ص 353 ، 355 .
2 - الاصطخري ، ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي : مسالك الممالك ، ط3 (ب- ن) ، (ب ، ت) ص 41 ، 44 .
3 - ابن خرداذبة ، عبيد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية (ب ، ت) ص 89 ، 90 .
4 - ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل : صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، 1938) ص 111 .

لقد شاع في الأندلس نظام الأجناد أو الكور المجندة وهو نظام بيزنطي كان متداولاً في بلاد الشام وقد حدث أن انتقل هذا الاصطلاح إلى بلاد الأندلس لعلاقته بأجناد الشام ، لاسيما بعد أن أنزلهم الوالي أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى سنة (125 هـ ، 743 م) في بعض كور الأندلس وهى كورة البيرة وانزل بها جند الشام ، وكورة جيان وانزل بها جند الأردن وكورة باجة ، وانزل بها جند مصر وانزل بعضهم بكورة تدمير¹ .

وأشار عليه " ارتباس " * قومس أهل الذمة² ليجد حلاً للجند الذين جاءوا مع بلج بن بشر القشيري ، ويضيف ابن عذاري (ت 712 ، 1312 م) اليها كورة رية ، وكورة شذونة وكورة اشبيلية ولأن هذه الكور سكنها الجند فقد عرفت باسم الكور المجندة³ .

أخذ لفظ " كورة " يتردد كثيراً في عصر الولاة ، وأهم النصوص التي وردت فيها ذكر كورة في عصر الولاة قول ابن عذاري (712 هـ ، 1312 م) " فحين اختلف أهل الأندلس اتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وعلى أن يدعوا ليحيى بن حريث كورة رية فتركت له طعمه " ⁴ .

وعندما نزل الأمير عبد الرحمن الأول (ت 172 هـ / 788 م) الأندلس تنادي الناس بمشاعرهم ، وتقدموا إلى كورهم⁵ مما يعني أن مصطلح كورة كان قد أطلق منذ عصر الولاة على بعض الأقسام الإدارية الأندلسية ثم عمم هذا المصطلح في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل إذ ظهرت في أول حكمه أسماء كور لم تكن معروفة بين الكور المجندة ، مثل كورة مورور ، وكورة لبلة ، وكورة بلنسية ، ثم صار يتردد في المصادر أسماء كثير من الكور التي زاد عددها ، لأن بعض المدن الصغيرة نمت وازدهرت في العصر الإسلامي ، حتى أصبحت كوراً أو قاعدة للكور

¹ - ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر : تاريخ افتتاح الأندلس ، دار النشر للجامعيين ، (ب ، ت) ص 44 .
* هو الأسقف اوباس اخو الملك غطشه كان قد تحالف مع العرب زمن الفتح وعينه العرب حاكماً لمدينة طليطلة ورئيساً للنصارى الذين اطاعوا المسلمين .

² - ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي : الحلة السيرة ، دار المعارف (القاهرة ، 1958) ج 1 ، ص 61 ، ص 62.

³ - الحميري : الروض المعطار ، ص 339 .

⁴ - ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 2 ، ص 35 .

⁵ - المصدر السابق ، ج 2 ، ص 44 .

ويتبين لنا أن الأندلس كانت مقسمة من الناحية الإدارية إلى كور ، في حين بقيت مناطق الثغور مدناً عسكرية ذات أقاليم ، وقد قصد ابن حوقل ذلك حينما قال " ليس بجميع بلاد الأندلس مسجد خراب ، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح ، إلا كورة فيها ضياع عداد ، وأكرة واسعة ، وماشية سائمة¹ .

وقد أشار ياقوت في معجم البلدان إلى تعريف الأقسام الإدارية فعرف الإقليم ، واعتبر تعريفه خاصاً بأهل الأندلس ، فذكر الاصطلاح الثاني لأهل الأندلس خاصة ، فأنتهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمياً ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم ، فإذا قال الأندلسي أنا من إقليم كذا فإنما يعني بلدة أو رستاقاً بعينه² ، كما عقد ياقوت مقارنه بين تعريف أهل الأندلس للإقليم ، وبين تعريف أهل المشرق للإقليم ، إذ أنه " عندهم كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى إقليم ، وبهذا يكون الإقليم في المشرق أرض تتبعها بلاد ، وفي الأندلس بلد تتبعها أرض ، مما يدل على إن العرب أخذوا الأساس الفارسي ، وهو الأرض ، وفي الأندلس أخذوا الأساس الروماني وهو المدينة³ .

وكان كل قسم إداري ، سواء مدينة أو كورة ينقسم إلى أقاليم⁴ مثل كورة بلنسية ، وهكذا نجد كل قسم إداري ينقسم إلى أقاليم ، ويتبع كل إقليم عدد من القرى ، وكان يطلق على كل ما يدخل في حوز القسم الإداري اسم عمل أو أعمال أو حوز⁵ أو نظر ، أو ولاية⁶ .

¹ - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 110 ، 111 .

² - الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي : معجم البلدان ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1990) ج 1 ، ص 25 .

³ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 579 .

⁴ - المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله الشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1991) ص 233 ، ص 235 .

⁵ - ابن غالب ، محمد بن غالب الأندلسي : فرحة الأنفس ، مجلة معهد المخطوطات العربي (القاهرة ، 1900) ج 1 ، ص 282 ،

285 .

⁶ - الحميري : الروض المعطار ، ص 104 .

الاتجاه العربي في التقسيم الإداري

كان الاتجاه الإداري في الأندلس الإسلامي يميل نحو الأقسام الإدارية الصغيرة تيسيراً لضبط الأمن وربط المال ، بل يبدو أن ذلك هو الاتجاه في الإدارة الإسلامية عامة ، فحوض دجلة والفرات كان يضم ما لا يقل عن خمس عشرة كورة ، ولا يشذ عن ذلك إلا الشام ، فقد قسم إلى مناطق عسكرية كبيرة تسمى " الأجناد "

ثم أن النظم الإدارية الإسلامية كانت لا تميل إلى تجزئة الوحدات الإدارية إلى أجزاء والأجزاء إلى أجزاء أصغر ، فاكتفى المسلمون بالكور ، كل كورة تتبعها مدن وكل مدينة تتبعها أقاليمها أو زمامها ، وقد أدى ذلك إلى تبسط السلم الإداري ، فالإدارة المركزية يتبعها عمال الكور وعمال الكور يتبعهم عمال المدن وهم المسئولون عن زمام المدن وأقاليمها ، وجرت العادة أن يعين عامل المدينة عاملاً خاصاً بالمدينة نفسها يسمى صاحب المدينة ، ومن هنا فقد كان عدد الموظفين في الإدارة الإسلامية لا يبلغ خمس عددهم في الإدارة الرومانية وخاصة منذ أيام دقلديانوس الذي زحم الإدارات بالموظفين وجعلهم طبقات بعضها فوق بعض ، فنقل عبئهم على الخزانة من ناحية واتسع المجال لأكل أموال الدولة من ناحية أخرى¹.

¹ - حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص 571

الفصل الثالث

النظم الاقتصادية

أولاً . الزراعة

أ - المناطق الزراعية

ب - مصادر المنتجات

ج - أشهر المزروعات

ثانياً . الصناعة

أ - الموارد ذات العلاقة بالصناعة المتوفرة في

المناطق

ب - أشهر الصناعات

ثالثاً . التجارة

أ - الاتجار والمتاجرة

ب - الأسواق

ج - طرق التجارة

د - التبادل التجاري

أذا ما انتقلنا إلى الجانب الاقتصادي فأنا نجد المسلمين يخففون من الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت توهن كاهل الطبقات العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة فألغيت الضرائب الفادحة وفرضت الجزية على غير المسلمين وهي تختلف حسب طاقة المكلف ويستثنى منها الرهبان والنساء والأطفال والعجزة ، وقدر الخراج على الأرض وهو يتوقف على ما تنتجه الأرض فعلاً ولذلك لم يكن عبئاً على الزراعة¹ .

وقد صار العمال الزراعيون والعبيد الذين يعملون في الأرض التي انتقلت إلى أيدي المسلمين أحرار يستأجرون أرض أو يعملون فيها ويدفعون جزءاً من غلتها إلى أصحابها المسلمين . وقد نتج عن ذلك الوضع الاقتصادي الذي أقامه المسلمون في الأندلس نمو وازدهار جميع أوجه النشاط الاقتصادي في الزراعة والصناعة والتجارة وعاد على الشعب بالرخاء والرفاهية متمثلاً في عدالة التوزيع على العاملين في حقول الزراعة حسب مجهود كل إنسان وطاقته .

أولاً - الزراعة

أ - المناطق الزراعية :

تعتبر الزراعة قاعدة الاقتصاد في الأندلس² ، وكانت الأراضي الزراعية نوعين هما ، الأرض الجافة التي تعرف بالأرض البعل ، والنوع الثاني من الأراضي المروية التي تعرف بأرض السقي ، وخصص النوع الأول من الأراضي لزراعة الحبوب ، بينما خصص النوع الثاني من تلك الأراضي لزراعة المحاصيل التي تعتمد على الري ، وقد كان نظام الري في الأندلس متطوراً لاسيما في المناطق الشرقية من الأندلس ، وقد ورث العرب هذا النظام عن القوط بعد فتح الأندلس ، وقد كان الري يتم بواسطة شبكة من قنوات الري في إقليمي مرسية ، وبلنسية³ واشتغلت أعداد قليلة من العرب الفاتحين والبربر في فلاحه الأرض واستقرت

¹ - سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص 117 .

² - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس ، ص 64 .

³ - ذو النون طه ، عبد الواحد : الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال أفريقيا والأندلس ، دار الرشيد للنشر (دمشق ، 1982 ، ص 79 .

فيها منذ سنوات الفتح الأولى ، وهناك قسم من العرب استقروا في بعض القرى والأرياف التي غنموها واشتغلوا

بالأشراف على المزارعين من أهل البلاد مما أدى إلى الإسراع بعمارة الأرض بعد انتهاء فترة الفتح .

وتمثلت المحاصيل الزراعية التي كانت نزرع بالأندلس بالقمح والشعير والذرة التي تعتمد على مياه الأمطار كما زرعووا الجزر ، وقصب السكر والزيتون والموز في مدينة " ألس " كذلك اشتهرت الأندلس ، بزراعة الكروم في مناطق الزراعة البعلية ¹.

ويتبارى الجغرافيون الأندلسيون في الإشادة بفواكه الأندلس وخيراتها ، مثل الكمثرى ، والكرز والتفاح ، واللوز والرمان ، وغيرها من المحاصيل التي كانت تزرع في مناطق الزراعة المروية في مدينة طليطلة وما جاورها ² واشتهرت الأندلس بزراعة الأعشاب العطرية ، مثل الكافور والمسك ، والزنجبيل ، والزعفران ، وبعض النباتات الأخرى مثل الكزبرة بالإضافة إلى اشتهارها بزراعة النباتات التي تدخل في صناعة الأقمشة ، والتي كانت تتم على نطاق كبير مثل الزعفران ، والقطن والكتان ، كما اشتهرت بتربية دودة القز ، ولاسيما في المنطقة الواقعة بين غرناطة والبحر المتوسط ³ .

وكانت منطقة الغابات في الأندلس تستغل لسد حاجات المدن من الفحم النباتي إذ كانت الأشجار تقطع لهذه الغاية من مدينة طرطوشة ولاستخدامها أيضاً في دعامات صواري السفن وزرع الأندلس شجر البلوط والبندق والجوز وكذلك الفستق ، وزرع في الأراضي الفسيحة منها وخاصة في الجنوب الشرقي نبات الحلفاء الذي كان يستخدم في صناعة السلال وغيرها من الأدوات المنزلية المختلفة .

¹ - كولان ، ج . س : الأندلس ، دار الكتاب المصري (القاهرة ، 1980) ص 100 .

² - ابن الفقيه ، احمد بن محمد بن إسحاق الهمداني : البلدان ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض ، 1996) ص 139 .

³ - الدمشقي ، شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (طبعة لبيزغ ، 1923) ص 241 .

أما تربية الحيوانات فقد افرد الجغرافيين لها في أوصافهم حيزاً ضيقاً ، سواء تلك المستخدمة للركوب والجر ، أو التي يؤكل لحمها ، وكانت تربي الماشية كالأغنام ، والماعز وكذلك تربية النحل ، ووجد في الأندلس أنواع عديدة من الطيور مثل البزاة ، والغربان التي لكثرتها لا يستطيع أهل الأندلس تربية الدجاج بسببها.

أما عن الضرائب التي كانت مفروضة على الأرض الزراعية في الأندلس فيمكن القول إن أرض الأندلس لم تخضع في تقسيمها كما خضعت له بقية ولايات الدولة الإسلامية من حيث تحديد أرض الصلح والعنوة وبيان وضع هذه الأرض من ناحية الجبايات .

ولم يستطع قادة الفتح أن يخمسوا من أرض الأندلس إلا جزءاً قليلاً¹ وقد استولوا على أربعة أخماسها ، واعتبروها غنيمة ، وبقي الخمس ملكاً للدولة² التي تركت فيه السبي يزرعونه لها ولكن بشرط أن يؤدوا من أموالهم الثلث للدولة ، وقد اعتبر هؤلاء زراع أرض الدولة وأطلق عليهم أسم الأخماس وأولادهم أولاد الأخماس ، أما الأراضي التي صالح أهلها عليها فقد أقرهم موسى بن نصير على أرضهم وأموالهم ودينهم ولكن بشرط أن يؤدوا الجزية عن أرضهم وزرعهم³ ، وبهذا تنقرر الأسس العامة التي جرت عليها شؤون الأموال في الأندلس ، وقد كان للاضطرابات الكثيرة التي وقعت بين العرب والبربر من ناحية وبين العرب أنفسهم من ناحية أخرى أثر عظيم في اضطراب الأحوال الاقتصادية في الأندلس في فترة عصر الولاة .

لقد أشاد الجغرافيون بأرض الأندلس ووفرة إنتاجها الزراعي ، فمحرث الكن بانية بقرطبة ليس له في بلاد الأندلس نظير ولا أعظم منه بركة⁴ وبلورقة⁵ الفحص الذي لا يعلم في الأرض مثله وهو المعروف بالفن دون⁵ ولقد صنف الأندلسيون أنواع التربة وعرفوا ما يصلح لها من مزروعات وأسمدة وأنواع التربة الأندلسية مثل اللينة والجبلية والسوداء والبيضاء والرملية والصفراء والحمراء والخشنة والرقيقة .

ويبدأ العمل الزراعي بتجهيز الأرض بحرث التربة مرتين إلى أربع حسب نوعية التربة ونوع الزرع أو الغرس وأحياناً تتعدد مرات الحرث حتى تصبح التربة كأنها غربلت بالغربال وحددوا لكل تربة نوعاً من المحارث ويبدأ الحرث غالباً في الأندلس في منتصف يناير حتى

1 - ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص 39 .

2 - القرشي ، يحيى بن آدم : كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ، ب ، ت) ص 7 .

3 - مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص 205 .

4 - المقرئ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج 2 ، ص 8 .

5 - الحميري : الروض المعطار ، ص 82 .

يونيو وبعض المناطق تبدأ في الحرث أوائل أكتوبر مثل قنباية قرطبة وفحص البلوط وما يجاورها من قرى .

وأدرك الأندلسيون أهمية الزراعة والحرث فإن الأرض إذا حرثت مرات متفرقات ينقطع نباتها الحشائش الضارة بكثرة حرثها ، فلا تتكلف تغذية شيء منه ، ثم يمر عليها حر الشمس والقيظ فيصل إلى أعماق خطوطها ، فيجتمع لها بهذا العمل ثلاث خلال الانتفاش والرخاوة ثم إحراق الشمس وتلطيفها إياها ، وهذا العمل أنجح ما يكون لإصلاحها وبعد الحرث تسوى الأرض حتى تصبح في مستوى واحد فيعمها الماء جميعاً ويستخدم في عملية التسوية ميزان الماء أو المرجقل والقبطال والجفنة ، وفي الأرض الواسعة الكبيرة يستخدم الجاروف الذي تجره الثيران والبقر والخيل¹ ثم تأتي عملية تخطيط الأرض ، فتخطط خطوط مستقيمة لغراسة الثمار حتى لا تخرج منها ثمرة عن حد صاحبها لتقابلها للريح من أي ناحية هبت وتستوفي كل ثمرة من الريح والهواء حقها ، ويجعل بين كل ثمرة وثمره اثنا عشر ذراعاً وتخطط إلى أحواض في زراعة المحاصيل ، وتتباعد البذور مسافات حسب المحصول المزروع² .

وبرع الأندلسيون في معرفة أنواع التسميد والتزبيلة ، وما يصلح منها لكل نوع من أنواع الأشجار والخضر والأرض وبذلك استمرت الأرض الأندلسية قوية خصبة ، وأهم أنواع السماد هي روث الخيل والبعال والحمير والزبل المضاف وزبل الضأن والماعز وزبل الحمام ورماد الحمامات والتنانير والزبل المولد .

وعرف الأندلسيون طريقة غرس الأشجار المثمرة بالنوى أو القضبان أو الوتد وأوضحت كتب التقاويم أوقات غرس بعض الأشجار المثمرة³ وأظهر الفلاح الأندلسي قدرة على تركيب أنواع من المزروعات مثل تحلية الكروم وطرد الدود والهوام عنها وكيفية جعلها نواة ، كما حرص الفلاح الأندلسي على تسمير الأشجار وبخاصة وهي صغيرة لأن ذلك يساعد على إطالة عمر الأشجار وإصلاح ثمارها واستيفاء كل جزء منها نصيبه من الغذاء وهكذا أظهر

¹ - ابن بصال ، عبد الله محمد بن إبراهيم : كتاب الفلاحة ، (تطوان ، 1955) ص 55 .

² - المصدر السابق ، ص 109 .

³ - بن سعد ، عريب : تقويم قرطبة ، نشر دوزي (ليدن ، 1973) ص 22 .

الأندلسيون حكمه لأسباب الفلاحة وقدرة على ممارسة ضروب الغرسات وتدبيرهم لتركيبة الشجر⁴ .

وكان الفلاح الأندلسي على معرفة بحماية الزروع وسرعة إنضاجها ، فغطوا النباتات كي لا يحرقها الجليد ، ويضعون الزيت أو العسل في أصولها لسرعة نضجها¹ ، ويضعون بذور القمح والشعير في ماء الزرنينخ حتى يبعدوا عنها الطيور والحشرات ، ويشعلون النار للقضاء على الجراد ، وعرفوا الأمراض النباتية ، وأسباب التسوس والتدويد وأشكال الدود والهوام وتساقط الثمر وضروب العفن والنضوب وأعراض الاحتراق ، وظهر في الأندلس صر أصاب جميع ما بمدينة طليطلة من النارج والأترج والياسمين واحترق الكل فبذل الفلاحون جهداً في معالجة الخضر والأشجار من الآفات اللاحقة بها ، وطرد الدود والهوام عنها وطرد الزنابير من الفواكه ، واستأجر الفلاحون الحراس للزراع ، وربوا الكلاب وشيدوا الأسوار من الطين والحجارة ، وأقاموا خيال الظل في حقولهم لتخويف الطيور²

ب - مصادر المنتجات :

لقد اشتهرت الأندلس بكثرة رياضها وبساتينها وجنانها العامة التي كانت متاحة للجميع ، حيث استطاع المسلمون في الأندلس أن يوفقوا بين بيئتهم القديمة وبين البيئة الجديدة التي استقروا فيها ، ولم يكن تقدمهم في مجال الزراعة بأقل من تقدمهم في مجال الحرب والجهاد ، ونجحوا في تحويل أجزاء كبيرة من الأراضي المقفرة بالأندلس إلى أراض صالحة للزراعة³ .

كما أدخلوا محاصيل جديدة من المشرق مثل النخيل والرمان الذي أدخلت زراعته من الشام وخاصة من رمان الرصافة المنسوبة إلى هشام ابن عبد الملك ، في عهد عبد الرحمن الداخل واستطاع سفر بن عبيد الكلاعي وكان من جند الأردن ، تهجين نوع منه وينسب إليه فسمى بالرمان السفري ، والقطن الذي انتقلت زراعته إلى الأندلس واشتهرت عدة بلاد بزراعته

⁴ - ابن غالب ، محمد بن ايوب الأندلسي : فرحة الأنفس ، تحقيق لطفي عبد البديع (القاهرة ، 1956) ص 281 .

¹ - الاشبيلي ، أبو الخير : الفلاحة (فاس ، 1357) ص 66 ، 70 .

² - ابن رشد ، أبي الوليد محمد احمد ابن رشد : البيان والتحصيل ، مطبعة مصطفى الحلبي (ب ، ن ، 1950) ص 200 .

³ - محمود ، مني حسن : المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1986) ص 208 .

وعلى رأسها إشبيلية ، وكذلك التفاح الذي تكثر زراعته في جبال سيرانينادا ، والبطيخ السندي الذي يعرف باسم سانديا⁴ .

كما أدخلت زراعة قصب السكر وكان ينتج بكميات كبيرة ، ومن أهم مراكز إنتاجه ، البيرة ومالقه ، وأشبيلية وكذلك الأرز الذي أدخلت زراعته في شرق الأندلس وخاصة في منطقة

بلنسية التي تعتبر هي المستودع الرئيسي للأرز في إسبانيا وتشتهر بنوع من الطعام يقوم عليه ويسمى " بائليا " ، ويلاحظ أن كلمة أرز قد انتقلت إلى اللغة الإسبانية بنفس اللفظ " arras " وكذلك أدخلت بعض الخضروات التي لازالت تحتفظ بأسمائها العربية أيضاً كالبادنجان والخرشوف والزيتون والزعفران ، والسلق وغير ذلك¹ .

وقد كانت أكثر حاصلات البلاد مما تجود زراعته في حوض البحر المتوسط مثل القمح والشعير والقطن والكتان والأرز والبقول والمواالح والكروم والزيتون والموز والتين والخوخ وغيرها ، هذا إلى جانب الغابات الكثيرة المنتشرة في أنحاء البلاد مثل أشجار البلوط والسنديان والصنوبر وغيرها .

وكان مما ساعد على تقدم الزراعة بالأندلس في العصر الأموي الاهتمام بشئون الري مثل إنشاء الترع والجسور وشق القنوات وإقامة القناطر وإلى غير ذلك .

وهناك ظاهرة طبيعية أحسن المسلمون استغلالها في الأندلس في مجال الزراعة وهي كثرة تساقط المياه من المرتفعات الجبلية ، فكانوا يوسعون القيعان حتى تصبح أحواضها فسيحة تمتلي بالمياه ، وترفع منها بالنواعير " السواقي " للري ومما يدل على إبداع المسلمون في مجال الري " محكمة المياه " التي كانت تعقد من الأهالي لتنظيم توزيع المياه على الفلاحين وهي محكمة أهلية لا دخل للحكومة بها ، وكان حكمها نافذاً على الجميع² حيث تعقد المحكمة كل يوم خميس عند الظهر في نفس المكان القديم الذي كانت تعقد فيه بجوار مسجد المدينة

⁴ - دياب ، محمد : تاريخ العرب في اسبانيا ، ج 1 (القاهرة ، 1914) ص 68 ، 69 .

¹ - الحموي ، ياقوت : معجم البلدان ، ج 3 (بيروت ، 1960) ص 130 .

² - دويدار ، حسين يوسف : المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، مطبعة الحسين الإسلامية ، (القاهرة ، 1994) ص 344 .

الذي تحول بعد الاستيلاء عليها من الإسبان إلى كنيسة³ ، كما كانوا يستخدمون الدواليب ومنها نوع كانوا يسمونه " الخطارة " .

وقد وضع الأمويون تقويماً للزراعة عرف " بالتقويم القرطبي " أصبح دليلاً تحدد على أساسه مواعيد زراعة المحاصيل المختلفة ، وأخذه عنهم غيرهم من الأمم⁴ ، كما عرف الأندلسيون (نظام القلب والتذييل) لإعداد الأرض للزراعة ، واستخدموا الثيران في حرث الأرض ، وكانوا يسمون المحصول باسم " المرفع " ويسمون المرعى باسم " المجشر"⁵.

لقد تميزت شبه جزيرة أيبيريا باختلاف طبيعة سطحها ما بين وديان وهضاب وسلاسل جبال فضلاً عن تنوع مناخها واتجاه مجاري أنهارها نحو الشرق أو الغرب ، مما أثر بالتالي في توزيع ثرواتها الزراعية ، حيث تنقسم الأندلس إلى إقليمين مناخيين أحدهما رطب والآخر جاف ويمكن القول بصفة عامة أن أغلب الأندلس يقع في المنطقة الجافة مما ساعد على ازدهار وتنوع المحاصيل الزراعية في الأندلس وخاصة في شرق الأندلس الذي امتازت أراضيه بالخصوبة وساعد على ذلك طبيعة أرض هذه المنطقة السهلية وتميزها معتدل ووفرة في المياه فكورة بلنسية وحاضرتها مدينة بلنسية أرضها سهلية مستوية ولخصوبة أرضها وصلاحيتها للزراعة عرفت بمدينة التراب ، وإلى جانب بلنسية مدينة مرسية فأرضها سهلية تقع على ضفة النهر الأبيض وواديها يقسم وادي اشبيلية كلاهما ينبع من شقورة الذي تحيط به البساتين من جميع النواحي ، لقد كانت أشهر مصادر المنتجات في بلاد الأندلس والتي اشتهرت بمحاصيلها الزراعية الوفرة هي دانية ، ومربيطر ، وإشبيلية كما اشتهرت بزراعة الزيتون وزراعة الكروم على نطاق واسع في دانية ، ومربيطر ، ومرسيه ، كما كثرت زراعة الكمثرى والرمان والسفرجل في بلنسية ، وكذلك كثرت زراعة التين في دانية ، ومالقه ، واشتهرت زراعة القمح في مرسية¹ .

ج - أشهر المزروعات :

³ - المرجع السابق ، ص 345 .

⁴ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج 2 ، ص 308 .

⁵ - المراكشي ، عبد الواحد بن علي التميمي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة السعادة (القاهرة ، 1949) ص 21 .

¹ - حسين ، حمدي عبد المنعم : التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية (القاهرة ، 1997) ص 359 .

توفر لنا كتب الجغرافية والفلاحة مؤشرات تسمح لنا بتقويم درجة تنوع الزراعة الأندلسية فهي تصف أنواع الغلات وفق مجموعات مثل ، الحبوب ، والبقوليات ، والخضر ، والفواكه والغلات الصناعية ، والنباتات العطرية ، والزينة وغلبت زراعة الحبوب الغذائية بالطريقة البعلية ، أي لا تعتمد على الري الدائم وبعضها بالري الدائم ، وتزرع في معظم الأندلس لأنها الغذاء الرئيسي للسكان² .

1 - القمح :

يزرع في الأندلس بين شهري أكتوبر ونوفمبر وتجدد زراعته في التربة المستوية ، ويختلف حصاده حسب الأماكن ويحصد غالباً في يونيه أو يوليو ، ويحصد في مرسية وشدونة أول

² - عباسي ، يحي أبو المعاطي محمد : الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه (القاهرة ، 2000) ص 446 .

مايو ، وهو أنواع منها ، الريحون ، الأبرجال الشمرة ، وأحسنها الريحون ، لأنه يابس ممتلئ نقي ، وتزداد أهمية القمح في سنوات القحط لغلو ثمن القمح وتحفظ الدولة القمح في حصون وصوامع.

2 - البقول :

زرع الفلاحون الأندلسيون أنواعاً من البقول مثل الفول الذي جاد في التربة الرطبة¹ ، والحمص الذي يزرع في فبراير ومارس ، ولأهمته التربة الحرشاء ، وزرع في سرقسطة وخزن فيها لمدة طويلة ، وزرع كذلك في لقنت واشتهرت جيان بزراعة البقول ، وهناك أنواع أخرى من البقول مثل ، اللوبيا ، والعدس ، والسهم .

3 - الشعير " الشنتية "

يزرع في نوفمبر وديسمبر ، ويحصد في مايو ، وهناك نوع من الشعير يسمى الإشبطة أو الطرمش ، ويستخدم علف للحيوان ، ويحصد أخضر ، ويعرف بالقصيل ، ويستخدم الشعير غذاء في الريف الأندلسي خاصة ، وفي كل الأندلس وقت المجاعات عامة .

4 - الأرز :

من المحاصيل التي أدخلها المسلمون للأندلس² ، ويزرع في شهر إبريل ، ويحصد في شهر سبتمبر ويحتاج إلى مياه كثيرة ، وزرع في بلنسية ويحمل منها لجميع الأندلس³ ، ويزرع كذلك في إشبيلية .

5 - الذرة :

طعام الفقراء ومعظم الفلاحين ، لأنه يباع بثمن رخيص ، وزرع في سهل غرناطة⁴.

¹ - عباسي : الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس ، ص 448 .

² - بن سعد ، عريب ، تقويم قرطبة ، نشر دوزي (ليدن ، 1873) ص 50 .

³ - العذري ، احمد بن عمر بن انس ، ترصيع الاخبار وتنويع الاثار ، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد ، 1965) ص 71

⁴ - ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة : ج1 ، ص 137 .

6 - القطن :

من المحاصيل التي ادخلها المسلمون ، ويزرع في شهر مارس ويجمع في سبتمبر ويلائمه التربة الحرشاء ، ويحتاج إلى حرث وتسميد كثير ، وتركزت زراعته في إشبيلية التي فاقت غيرها من نواحي الأندلس ، ويحمل منها إلى سائر الأندلس ، ويزرع أيضاً في وادي أش وميورقة¹ .

7 - الخضر :

زرع الفلاحون الأندلسيون أنواعاً من الخضراوات مثل ، الكرنب والقنبيط واللفت والجزر والبادنجان والبصل والثوم فيزرع الكرنب في يونيه ، ويؤكل في نوفمبر ، ووجد منه نوعان كرنب صيفي وشتوي وهو مفرق الأوراق ، ويوجد الكرنب في التربة السوداء والغليظة وزرع في قرى وأرياف إشبيلية وبلنسية ، أما القنبيط واللفت والجزر والبادنجان فتزرع في مارس أو إبريل ، وتزرع في إشبيلية في يناير ، ويوجد في التربة السوداء ويوضع في أحواض مسمدة قبل وضع الزريعة ، ويسقى إلى أن ينبت ، ثم يسقى مرة كل أسبوع ، ويزرع اللفت أول أغسطس ، ويؤكل في الخريف أو الشتاء ، وهو نوعان الأول مستطيل ، والثاني مدور ، ويزرع في أرياف إشبيلية وقرطبة وغرناطة ، أما الجزر فيزرع في إشبيلية وقرطبة وغرناطة ، ويزرع البادنجان في شهر يناير في إشبيلية وقرطبة ، وعرفت قرطبة بنوع مدور الشكل كبير الجرم رقيق القشر ، وهناك نوعان من البصل ، الأول يزرع للاستهلاك ، والثاني كزريعة ، واشتهرت قرطبة بزراعته ، وهناك إقليم في إشبيلية عرف بإقليم البصل² ويزرع الثوم في نوفمبر أو يناير ، ويحصد في يونيه وتلائمه التربة البيضاء أو السوداء أو الحرشاء ، وزرع في قرى قرطبة وإشبيلية وغيرهما .

8 - الكتان :

¹ - الزهري ، ابو عبد الله محمد بن أبي بكر : الجغرافية ، تحقيق محمد حاج (ب ت ، ب ن) ص 129 .
² - الاشبيلي ، ابو الخير : الفلاحة ، ط 1 ، (فاس ، 1357) ص 65 .

تبدأ زراعته بالأندلس في شهر نوفمبر ، ويحصد في مايو ، ويصلح في التربة الرملية والرطبة وتركزت زراعته في قرى جبل شلير ، وكذلك في أحواز شذونة ومالقه ، وشبوب ولاردة وباجة وميورقة .

9 - الزيتون :

من المحاصيل المهمة في الأندلس ، وهو نوعان بري ينبت في الجبال ، وبستاني وهو أكثر حبا وأفر زيتاً ، والزيتون لا يحتاج لري كثير ، ويغرس عادة في شهر يناير ، وينضج في سبتمبر ويظهر الزيت الجديد ، وتركزت زراعته في جبال العروس شمال قرطبة الذي كان مغروساً بالزيتون ، وفي جبل الشرف بإشبيلية لا تكاد تشمس فيه بقعة لالتفاف زيتونته .

10 - قصب السكر :

أدخله المسلمون إلى الأندلس ، ويزرع في فبراير أو مارس ، ويوجد على ضفاف الأنهار ويحصد في نوفمبر أو يناير ويصنع منه السكر ، وتركزت زراعته في المناطق الساحلية وفي البساتين الواقعة جنوبي إشبيلية المعروفة بجنات المصلى ، فهي من السواحل التي يحسن فيها نبات قصب السكر¹ ، وفي شلو بانية التابعة لغرناطة ، وفي المنكب جنوبي المرية² وسمجلة أو شمجة التابعة لرية القريبة من البحر .

11 - كما عرف الأندلسيون عدة أنواع من المزروعات ومن أشهرها ، الحناء والكمون والكرابية والأنيسون ، وكذلك النخيل ، والتين ، والسفرجل ، والجوز واللوز والفسق ، وجميع أنواع الفواكه بما فيها التفاح بجميع أنواعه والوانه .

12 - تخزين المحاصيل :

مهر الفلاحون الأندلسيون في تخزين المحاصيل والأطعمة تحسباً للأزمات ، ويبدأ التخزين بعد انتهاء الزرع من الحصاد ، ونقل المحصول للأنادر " الأجران " وبعد درسه ينقل إلى المخازن " الأهراء أو المطامير " ويجب في هذه البيوت أن يكون بها " كوي من قبل

¹ - ابن غالب ، فرحة الأنفس : ص 293 .

² - القلقشندي ، ابو العباس احمد بن عبد الله : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الفكر (القاهرة ، 1987) ج 5 ، ص 218 .

المشرق والمغرب لتخرقها الرياح " ويخرج منها وهج حرارة البيت ، ولا تجعل فيه كوة مما يلقي القبلة ولا تجاورها المطابخ ولا مرابط الدواب واشتهرت بعض المدن والأقاليم والقرى في التخزين ، فحنطة طليطلة تمكث في أهرائها مدة طويلة فلا يتسوس ولا يعفن وكذلك التين والخوخ والتفاح والبول والقمح .

ويضل الطعام في لورقة مطمورا تحت الأرض مدة طويلة لا يتغير ، ويخزن فلاحو إشبيلية الزيتون وزيته أعواماً طويلة ، ويخزن فلاحو المرية الشعير لمدة طويلة لا يتسوس ويؤكل وكذلك تحفظ فاكهة " شريش " مدة كبيرة وللأندلسيين طرق عديدة في التخزين ، منها مثلاً نثر زبل الضأن في المطامير ، مما يساعد على سلامة الحبوب من الآفات ، وتبقى صلبة سليمة لا يصيبها التسوس ، أو تفرش أرضية المطمورة بتين القمح أو ينثر رماد عيدان الكروم وتحفظ الثمار الجافة في حفر تحت الأرض يفرش قعرها بالرمل وتوضع فيها هذه الثمار ثم تغطى بالرمل حتى تسوى مع وجه الأرض.¹

¹ - ابن بصال ، الفلاحة : ص180

ثانياً الصناعة :-

لا نكاد نظفر في المصادر التي أرخت لتلك الحقبة بمعلومات ذات بال عن النشاط الصناعي في الأندلس ، لاسيما في هذه الفترة المبكرة من تاريخها ، فنجد كتب الجغرافيين تمر عليه مروراً سريعاً ، دونما اهتمام ، وعلى الرغم من ندرة هذه المعلومات فقد ازدهرت في الأندلس بعض الصناعات التي كانت تنتشر هنا وهناك وكان أهمها صناعة الآلات والأواني النحاسية والحديد ذلك أن الأندلس بلد غني بموارده المعدنية منذ أقدم العصور ، وكانت هذه الصناعات تتركز في المدن التي يتوافر فيها هذا المعدن ، خاصة في مدينة تدمير¹ وكذلك عرفت الأندلس صناعة استخراج ملح الطعام على ساحل قانس * وصناعة قص حجر الرخام المعروفة منذ زمن الدولة الرومانية ، بالإضافة إلى صناعة قص التعدين ، وعرف أهل الأندلس صناعة تجفيف العنب ، ووجد في الأندلس بعض الصناعات المتعلقة بالسفن التجارية مثل صناعة صواري المراكب التجارية التي اشتهرت بها مدينة طولوشة بالإضافة إلى صناعة السلال وغيرها من الأدوات المنزلية المصنوعة من نبات الحلفا في الأراضي الفسيحة من الأندلس ، وقد كانت المعادن تنتشر في الأندلس منذ القدم ، وأهم معادنها الذهب المستخرج من الرمال التي تحمل الذهب في بعض الأنهار وفي منطقة تدمير ، بالإضافة إلى وجود معادن الفضة والزنابق والحديد والرصاص ، والنحاس والشب والقصدير ، وقد مارس سكان الأندلس حرفة الصيد بواسطة شباك تصنع من الخيوط وأشهر الأسماك عندهم كانت أسماك التونة وكانت مدينة المنكب تشتهر بكثرة مصايد السمك فيها .

أ - الموارد ذات العلاقة بالصناعة المتوفرة في المناطق :

أما عن الصناعة بالأندلس فقد كان للمسلمين أيضاً أثر كبير في نهضتها وترقيتها وقد ساعدت على ذلك عدة عوامل منها :

- 1 - استغلال المسلمين لثروات البلاد الطبيعية ، وبذلهم جهوداً كبيرة في هذا المجال .
- 2 - روح التسامح التي أبدتها المسلمون تجاه أهل الحرف والصنائع .
- 3 - تشجيع المسلمين للصناعة والابتكار فيها لصناعة ما تحتاج إليه البلاد .

¹ - ابن الفقيه ، البلدان : ص 138 .

• جزيرة بالأندلس عند مدينة طالقة من مدن اشبيلية عرضها ميل وطولها اثنا عشر ميلاً .

أحتضن المسلمون حضارة الإسبان وشمّلوا أهل الصناعة والفنون المختلفة برعايتهم وعنايتهم وظل الصناع وأرباب الحرف المختلفة يسرون في نفس الطريق الذي كانوا يسرون فيه من قبل مع بعض التغيرات الطفيفة في تكييف منتجاتهم وفقاً لما يقتضي الوضع الجديد ، ثم ما لبث أكثر هؤلاء أن وجدوا أنفسهم يخالطون المسلمون ، ويشاركونهم ويتعاملون معهم ، فأقبلوا على الثقافة العربية ، ودخل الكثير منهم في الإسلام ، وتحققت بذلك النقلة الحضارية الهائلة خلال عصر الولاة في الأندلس ، وصيغ في ذلك العصر فن إسلامي أخذ يتدرج في النمو والتطور .

ب - أشهر الصناعات :

وإذا أردنا أن نتحدث عن بعض الصناعات في الأندلس في عصر الولاة فإننا نجد منها :

صناعة المنسوجات :

انتشرت في أنحاء كثيرة من البلاد نظراً لتوفر المواد الخام اللازمة لها من القطن والكتان والحريير والصوف وكذلك الأصباغ اللازمة ، فقد كان القماش المعروف باسم " بقلمون " يصنع في مدينة " شترين " غربي الأندلس بالونه المتغيرة ، كما كان يصنع في الأندلس أيضاً النسيج الحريري المعروف باسم " العتابي " الذي انتقلت صناعته من العراق إلى الأندلس .

ولقد ازدهرت صناعة المنسوجات الحريرية في الأندلس نظراً لكثرة أشجار التوت حيث تقوم النساء بتربية دود القز ورعاية بيضه ، وانتقاء شرانقه من شهر فبراير حتى يفسح في شهر مارس من كل سنة ، وكان من أهم مراكز هذه الصناعة قرطبة والمرية ، كما اشتهرت مرسية بصناعة الحلل من الحرير والديباج ، كما اشتهرت صناعة المنسوجات القطنية وخاصة في مدينة أشبيلية التي كانت يزرع فيها القطن ، وكان يصنع بها نوع من الأقمشة يقي من الأمطار كما وجدت أيضاً صناعة المنسوجات الكتانية البديعة ، وكانت هناك أنواع منها لا يفرق بينها وبين الكاغد الجيد الصقل في الرقة والبياض ، وكان من أهم مراكز صناعتها سرقسطة ولأرده وباجة .

كما وجدت صناعة الصوف وخاصة في سرقسطة وجنجلة ، أما صناعة السجاد والبسط فكان من أهم مراكزها مرسية وبسطة ومنتاله في شرق الأندلس ، ولعل كلمة " الف وميرا "

الإسبانية التي تعني سجادة قد جاءت من الكلمة العربية الخمرة ، أي الحميرة أو الحمرة لان اللون الأحمر كان هو الغالب عليها .

وقد حظيت المنسوجات الأندلسية بشهرة كبيرة في أوروبا وحرص الكثير من الملوك والأمراء والأغنياء فيها على اقتنائها ، وقد كانت هناك دور خاصة لصناعة الملابس المختلفة للأمراء والملوك ورجال الدولة والجند تسمى دور الطراز .

صناعة السفن والأخشاب :

كما اشتهرت الأندلس بصناعة السفن وساعد على ذلك كثرة الغابات المنتشرة بها ، وقد كانت صناعة السفن والمراكب من الصناعات القديمة الموجودة قبل فتح الأندلس ، وقد اعتمد المسلمون على دور الصناعة التي كانت منتشرة في عدة أماكن مثل طرطوشة وتركونه وآنبه وبجانة ، وأشبيلية والجزيرة الخضراء ، ولما قدم عبد الرحمن الداخل اتخذ سنة 144 هـ دورا لصناعة السفن في المرية وقرطاجة إلى جانب المراكز السابقة وذلك لتوفير المواد اللازمة لهذه الصناعة من الأخشاب بالإضافة إلى توفير معدن الحديد الذي تحتاج إليه وخاصة في شلطي¹ وقد ازدهر فن النحت على الخشب ووجدت أمثلة رائعة للتحف المصنوعة منه ، كما تمثل فن النحت الأندلسي أروع تمثيل في صناعة العلب الخشبية المطعمة بالعاج التي كانت تتخذ لحفظ قنينة العطر والمسك والعنبر والحلي ، وخاصة لزوجات الولاة والأمراء وجواريتهم وقد ازدهرت هذه الصناعة ثم ما لبثت دور الصناعة أن أخذت تنتشر في أماكن أخرى ، ويبدو أن هذه الصناعة قد توقفت أو أصابها الذبول بعد ذلك.

صناعة الزجاج :

ومن الصناعات التي بدأت في عصر الولاة والتي ازدهرت بعد ذلك في الأندلس صناعة الزجاج التي اشتهرت بها بعض المدن مثل مالقة والمرية ، وخاصة صناعة الأكواب والكؤوس التي تعلق في الثريات التي توضع في المساجد والقصور ، وقد أخذت هذه الصناعة

¹ - العبادي ، احمد مختار : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية (الإسكندرية ، 1968) ص 249 .

تتقدم وخاصة بعد دخول زرياب إلى الأندلس ، وتفضيله استخدام الأكواب الزجاجية الصافية في تقديم الماء والشراب ، بدلاً من أكواب الذهب والفضة والمعادن الأخرى² .

صناعة الأسلحة :

كما قامت صناعة الأسلحة في الأندلس ، وأنتجت بكميات كبيرة وساعد على ذلك كثرة الحروب التي خاضها المسلمون وأنتجت بكميات كبيرة ، وساعد على ذلك كثرة الحروب التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم وكذلك التي خاضوها ضد بعضهم البعض ، هذا بالإضافة إلى الأسلحة المستوردة ، وكذلك الأسلحة التي أتى بها المسلمون خلال مراحل الفتح الأولى التي كانت بحوزتهم بجميع أنواعها ، وقد وجدت أنواع شتى من الأسلحة وعلى رأسها السيوف والرماح والدروع والخوذات وغيرها ، وكان الفولاذ الأندلسي مشهوراً بجودته ، ومن أهم مراكز صناعته طليطلة وإشبيلية ومرسية والمرية وكانت تصنع منه أنواع كثيرة من الأسلحة .

صناعة السكر :

ومن الصناعات التي وجدت في الأندلس أيضاً صناعة السكر الذي كان يستخرج من القصب حيث كان إنتاجه وفيراً وكان من أهم مراكز إنتاجه وتصنيعه البيرة ومالقه والمنكب وجليانه وإشبيلية .

وقد أستمّر إنتاج السكر وفيراً منذ عصر الولاة في الأندلس حتى سقوط غرناطة سنة 1492 م لدرجة أن الإسبان سمحوا لعدد من المدجنين " المسلمين المعاهدين " المشتغلين بزراعته بالبقاء ، ولكن كثيراً منهم رفض ذلك وغادر إسبانيا مما ترتب عليه تضاعف إنتاجه¹ .

صناعة الورق :

ومن الصناعات التي اشتهرت في الأندلس أيضاً صناعة الورق ، ومن المرجح أن تكون هذه الصناعة قد وجدت في العصر الأموي ، وخاصة بعد تقدم الحركة العلمية وانتقلت إليها من

² - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج 2 ، ص 427 .
¹ - الخطيب محمد محمد عبد القادر : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة ، 1990) ص

المشرق حيث يذكر الإدريسي في كلامه عن مدينة " شاطبة " " أنه يعمل بمدينة شاطبة بالأندلس من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ، وأنه يعم المشارق والمغرب².

وكذلك اشتهرت بلنسية وطرطوشة بصنعه أيضاً ، ويبدو من المخطوطات المحفوظة في المكتبات الإسبانية أن الورق كان يصنع من ألياف القطن والكتان ونبات الشهد³ ويجزى

إلى المسلمين أنهم كانوا أول من أدخل الورق إلى أوروبا عن طريق الأندلس ، وكانوا يستخدمون الرق قبل ذلك ، ولعل شاطبة كانت أول مكان في قارة أوروبا يصنع فيه الورق¹.

وكان الورق الشاطبي مشهوراً في العالم الإسلامي كله ، وبلغ من جودته أن بعض الكتاب كانوا لا يكتبون الوثائق إلا عليه واشتهر إلى جانب جودته برخص ثمنه ، وقد عرف الأندلسيون إلى جانب الكاغد نوعاً آخر من الورق المتين السميك الشبيه بالقماش وهو الرق المعروف " بالبار شمان " وكان مطلوباً في أوروبا وخاصة لكتابة الإنجيل والوثائق الكنسية وقد قلده الإيطاليون بعد ذلك .

وإلى جانب صناعة الورق فقد تقدمت صناعة أدوات الكتابة وما يتصل بها من حبر وأقلام وشمع للأختام وغير ذلك وقد برع الأندلسيون في صناعة الأحبار من البيئة وعرفوا المعدني والنباتي والمطبوخ وغير المطبوخ ، والبسيط والمركب منها وعرفوا أقلام الغاب وكانوا يسمونها " الأنوب " بل عرفوا أقلام الحبر وتفننوا في صناعة المحابر من الزجاج والبلور والرخام .

وكانوا يزخرفونها ويكتبون اسم صاحبها عليها بواسطة الحفر مع بعض أبيات من الشعر ومنها محابر على هيئة الخنجر في قرابة توضع في حزام الثوب مع الأقلام .

صناعة التماثيل والتحف المعدنية :

² - الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق : ص 192 .

³ - محمد محمد عبد القادر الخطيب ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية : ص 348 .

¹ - بشتاوي ، عادل سعيد : الأندلسيين المواردية ، مطابع انترناشيونال برس (القاهرة ، 1983) ص 266 .

كما اشتهرت في الأندلس صناعة التماثيل المعدنية وازدهرت وكانت مصنوعة من الفضة والبرونز ، وعرفوا أيضاً صناعة الثريات البرنزية التي استخدمت فيما بعد في المساجد الإسلامية وفي المباني لتزيينها وزخرفتها مثل جامع قرطبة ، وجامع البيرة .

ثالثاً - التجارة :

أما فيما يتعلق بالنشاط التجاري في الأندلس ، فقد كان في الأندلس مدن تجارية كثيرة في الجنوب والشرق منها طليطلة وإشبيلية وغيرها ، وعرفت الأندلس نوعين من التجارة هما التجارة الداخلية التي كانت تتم داخل الأندلس بين المدن الأندلسية نفسها ، والتجارة الخارجية التي كانت تتم بين الأندلس وبقية أنحاء العالم ، ويروى أن اليهود لعبوا دوراً هاماً في تنشيط

الحركة التجارية ، حيث اتخذهم ملوك القبائل الجرمانية التي استقرت في الأقاليم الغربية من الإمبراطورية الرومانية موردين لهم فقد كانوا يسافرون من المغرب إلى المشرق براً وبحراً يجلبون الخدم والجواري والغلمان والديباج والسيوف والخز وغيرها ويذهبون بها إلى السند والهند ، فيبيعونها ويحملون منها المسك والكافور وغير ذلك مما يحتاجون إليه .

وكان التجار القادمون إلى الأندلس يشترون منها كل ما يحتاجون إليه من المحاصيل والبضائع التجارية كالزعفران والزبيب والحريير والديباج وآلات النحاس وغيرها ، وحينما دخل العرب إسبانيا كان البيزنطيون يتمتعون بالسيادة التجارية الكاملة على سواحل البحر المتوسط غير أن العرب نافسواهم عليها وانتزعوها أخيراً منهم .

أ - الاتجار والمتاجرة :

أزدهر النشاط التجاري في الأندلس بعد الفتح ، حيث أصبحت البلاد عامرة بالسكان وتقدمت الزراعة ونهضت الصناعة وغدت الأموال كثيرة في أيدي الناس ، ويذكر بعض الباحثين أن عدد السكان في عصر الرومان كان يتراوح بين ثلاثين أو أربعين مليوناً ، وكانت دار السكة بقرطبة يضرب فيها كل عام ثلاثة آلاف ألف درهم وأربعمائة ألف دينار وهذا المبلغ لا يتناسب مع الثلاثين أو أربعين مليوناً ويبدو أن في هذا العدد شيء من المبالغة في التقدير¹

¹ - حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي : ص 359 .

وعلى أية حال فقد راجت التجارة الداخلية والخارجية في الأندلس وكان لموقع الأندلس على البحر المتوسط ، وسيطرة المسلمين على حوضه الغربي اثر كبير في نشاط التجارة عن طريق الموانئ الأندلسية المتعددة التي تصدر منها العديد من المنتجات الزراعية والصناعية مثل ميناء أشبيلية الذي كان يعد أعظم موانئ الأندلس النهرية لتصدير الحاصلات الزراعية والمنتجات المعدنية والصناعية إلى أوروبا كالقطن والزيتون والأرز والفضة والنحاس والحديد والمنسوجات والسكر وغير ذلك .

وكان هناك طريق بري من طرق التجارة الخارجية يبتدىء من شرق أوروبا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وممر فطولونية ، ثم يستمر من الأندلس إلى طنجة عن طريق جبل طارق إلى بلاد المغرب ، ثم مصر ثم بلاد الشام والعراق وفارس والهند والصين².

ومن أهم المنتجات التي كانت تصدر من الأندلس في عصر الولاة الملابس المطرزة التي تعمل في الأندلس وتحمل إلى مصر وخرسان وغيرها ، والأصواف والأصباغ والحرير واللبود الفاخرة ، والأردية الكتانية التي تصنع في بجانه والورق الأبيض السميك من مدينة شاطبة والتين الجاف من مالقه ، والخزف المذهب الذي اشتهرت به أيضاً والكبريت الأحمر من مرسيه والأسلحة من طليطلة¹، كما كان يأتي من هذا الطريق الرقيق الأبيض من أوروبا وكان لدور التجار اليهود في شرق أوروبا وغربها والأندلس دور كبير في تجارته .

وقد كانت التجارة بين الأندلس وبلاد الفرنجة مزدهرة خصوصاً في بدايات دخول المسلمين إلى الأندلس لفضولهم لمعرفة المنتجات الإسلامية والعربية وكانت دائماً ما تكون في أوقات السلم ، وكانت هناك ثلاث طرق للتجارة هي أولها الطريق البري الذي يمر عبر جبال البرنس عن طريق عدة ممرات من أهمها ، ممر باب الشزري " الرونسفال " وكانت القوافل التجارية تعبر هذه الممرات أو الأبواب إلى موانئ جنوب فرنسا وخاصة بروفانس ، وسبتمانيا ، وناربون ومارسيليا ، التي كانت من أهم المراكز التجارية في بلاد الفرنجة .

² - مني حسن محمود ، المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة : ص 310 .

¹ - مؤلفين ، مجموعة : دراسات في الحضارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، 1985) ص 365 .

وثاني هذه الطرق ، الطريق البحري عبر ساحل إسبانيا الغربي المطل على بحر الظلمات وهذا الطريق لم يسلك إلا منذ عهد عبد الرحمن الأوسط بعد القضاء على خطر النورمان وكانت غاراتهم على هذا الساحل الغربي تشكل خطراً كبيراً .

وأما الطريق الثالث ، فيمر عبر الساحل الشرقي للأندلس المطل على البحر الرومي ، ثم تنقل البضائع عن طريق الممرات عبر جبال البرانس ، أو عن طريق الموانئ الجنوبية لفرنسا كما نشطت التجارة بين الأندلس وروما ، وكانت الجزائر الشرقية مثل ميورقه ، ومنورقة ، عرضة لهجمات القراصنة البحريين الذين كانوا يتعرضون للسفن التي تسير محملة بالسلع والبضائع .

قد كان لأهل الشام دور كبير في تجارة البحر المتوسط حيث كانت لهم جاليات في كثير من الموانئ المطلة على هذا البحر ، كما كان لليونان واليهود دور في هذه التجارة أيضاً وكانت هناك جماعات من التجار المغاربة الذين يعملون في نقل التجارة من إفريقيا إلى الأندلس وبلاد غالة والذي أطلق عليهم تجار من وراء البحر² بالإضافة إلى التجار الأندلسيين الذين قاموا ولا شك بدور كبير في هذه التجارة أيضاً " لقد ظلت إسبانيا المسيحية مدة خمسة قرون

محصورة في دائرة الإسلام الاقتصادية ، فكانت التجارة احتكار في أيدي المسلمين واليهود وظلت الممالك المسيحية في إسبانيا لا تستعمل إلا النقود العربية والفرنجية طوال أربعة قرون تقريباً¹ .

وقد أخذت العلاقات التجارية تنمو نمو ملحوظاً بين الأندلس وبلدان شتى ، ونشطت حركة التبادل التجاري بينهما وكانت السفن والمراكب التجارية في موانئ الأندلس المتعددة كإشبيلية ومالقه ، ودانية ، وبلنسية ، والمرية ، تعمل بين كثير من مدن البحر المتوسط ، وتحمل

² - ارشيبالد ، لويس : القوى العربية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة احمد عيسى (القاهرة ، 1959) ص 120
¹ - جيوم ، الفرد : تراث الإسلام ، لجنة النشر للجامعيين مكتبة الآداب ومطبعتها (القاهرة ، 1983) ج 1 ، ص 5 ، 6

المنتجات الأندلسية المختلفة من الأقمشة والسجاد والخزف والجلود والأسلحة والورق والتوابل وزيت الزيتون وغيرها .

وكانت هذه العلاقات متواصلة مع مصر بخاصة ، وبدأت تأخذ شكلاً قوياً ونشاطاً ، وقد كان من عوامل نشاط التجارة في الأندلس في عصر الولاة استخدامهم للنقود الرومانية والقوطية وعلى رأسها الصولدي الروماني ² .

كما كان من عوامل نشاط التجارة في الأندلس أيضاً الاهتمام بإنشاء المؤسسات ذات الصبغة الاقتصادية التي ارتبطت بالنشاط التجاري ، وتتمثل في الخانات والوكالات والفنادق والقياسر وكان التجار القادمون إلى الأندلس يجدون في هذه الأماكن مخازن لبضائعهم ، وحظائر لدوابهم ، ومقراً لنزولهم .

ولاشك أن الأندلس قد شهدت في العصر الأموي الكثير من هذه المؤسسات ، وأن كانت المصادر التاريخية والأثرية لم تمدنا بالكثير عنها وإن أمدتنا بشيء عنها في عصور تالية وقد ذكر الإدريسي من إنه كان بالمريّة وحدها في النصف الأول من القرن السادس الهجري " الثاني عشر الميلادي " ما يقرب من تسعمائة وسبعين فندقاً ، ويبدو أنها كانت فنادق صغيرة تتألف من طابق واحد أو طابقين على الأكثر³ .

الموازن والمكاييل والمقاييس :

يتم تقدير قيم الأشياء بمكاييل وموازن ومقاييس ، وتعددت هذه الأشياء في الأندلس واختلف مقاديرها من منطقة لأخرى¹ وأهمها هي :

1 - المد :

² - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص 229 .
³ - دائرة معارف الشعب ، كتاب الشعب ، مطابع الشعب (القاهرة ، 1959) ص 61 ، ص 64 .
¹ - يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس : ص 523 .

والمدة نوعان ، المد الشرعي " مد النبوي " ، والمد الكبير ويساوي أربعة أضعاف المد النبوي ، ويزن المد رطل ونصف أو رطل وثلث ، والرطل الأندلسي يساوي 16 أوقية والمد النبوي يعادله رطلاً واحداً² ويذكر أن القفيز القيرواني كان يساوي 192 مداً كبيراً ، والقفيز القيرواني خمسة أقدار قرطبية الاستة أمداد ، والقفيز القرطبي 42 مداً نبوياً أو 48³.

ولوحظ أن الصاع النبوي يعادل أربعة أمداد ، والصاع خمسة أرطال وثلث والوسوق يساوي 60 صاعاً ، وكان خمسة أوسق أو 1200 مداً نبوياً يزنوا 1600 رطلاً " والمد النبوي رطل وثلث " وهي زكاة المحصول في الأندلس .

2 - المد القرطبي :

ويشتمل المد القرطبي في الأندلس على 12 قفيزاً ويزن ثمانية قناطير ، وهذا المد القرطبي زنته ثمانية قناطير ، والستة أقدار هي نصف مدى زنته أربعة قناطير ، فأن كان القفيز الأندلسي يساوي 48 مداً نبوياً ويزن 64 رطلاً ، فالمد يزن 768 رطلاً ، ولما كانت الفنيقة القرطبية تساوي نصف قفيز وتزن 30 رطلاً فالمد يزن 24 فنيقة⁴ .

3 - الكيل :

استخدم في الأندلس لوزن السوائل والأشياء الصلبة ، بالإضافة لكيل الحبوب والكيل القرطبي يساوي 6 أمداد نبوية ويزن 6 أرطال .

4 - القسط :

يستخدم في وزن العسل والزيت والخل وسائر السوائل ، فكان مقدار الجزية التي دفعها تدمير ومن معه من الأحرار كل عام هي ، دينار وأربعة أمداد شعير وأربعة أمداد قمح وأربعة

² - ابن عمر ، يحي الأندلسي : أحكام السوق ، الشركة التونسية للتوزيع (تونس ، 1975) ص 104 .

³ - المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص 240 .

⁴ - المصدر السابق ، ص 240 .

أقساط خل وقسطاً غسل وقسط زيت ، وعلى كل عبد نصف ذلك ¹ ويجئ من كورة البيرة 1200 قسط زيت .

5 - الثمن :

وهو ثمن الربع الذي تكال به السوائل ، ويزن 12 حبة شعير ، وترد نصوص عن ثمن الربع فيذكر " أن لكيل اللبن ينبغي أي يكون الثمن العادي من ثمن ونصف ولا يباع بكيل زيت وقلة الزيت يجب أن تكون من أثني عشر ثمناً أي ما يعادل ربعاً ونصف ² ويقول السقطي ³ " ثمن الربع الجاري بمالقه في الكيل يصدق من العسل الطيب الأندلسي في الغالب ثلاثة أرطال ونصف ، ومن الطيب العدوى " المغربي " ثلاثة أرطال وست أوراق إلى ثلاثة أرطال ، وثمان الزيت رطلين وربع رطل ، وثمان الخل يتراوح ما بين رطلين ونصف إلى ثلاثة أرطال إلا ربع رطل وثمان ابن الغنم ثلاثة ، أرطال وربع ، ومن لبن الماعز ثلاثة أرطال وثلاث أواق".

6 - القفيز :

كان المكيال الرسمي في الأندلس ، وتعادل أثني عشر قفيزاً تعادل مدياً من 768 رطل أو سبعة قناطير من 96 رطلاً والقفيز الأندلسي كان يعادل 42 مداً نبوياً وأحياناً 48 مداً وأن القفيز القيرواني كان يساوي 192 مداً محلياً أو 204 مداً شرعياً أي ما يماثل خمسة أقفاز قرطبية إلا ستة أمداد ، فالرطل القيرواني يشتمل على 17 أوقية والقرطبي يشتمل على 16 أوقية ، والقفيز القرطبي يضم 42 مداً أو سعته 28 لتراً .

7 - القدح :

يكال به الحبوب ، ويعادل ستة أمداد من خمسة أرطال وثلث لكل مد ، والقفيز يعادل 20 قدحاً ، والوسق 10 أقداح والقدح 32 رطلاً ، والقدح يعادل 24 مداً نبوياً ويزن 32 رطلاً .

¹ - العذري ، احمد عمر بن انس : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد ، 1965) ص 5.

² - ابن عبدون ، احمد عبد الله الالتحفي : قضاء الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال (القاهرة ، 1955) ص 40 ، 41 .

³ - السقطي ، ابو عبد الله محمد بن أبي محمد : أدب الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال (باريس ، 1931) ص 13 .

8 - الفنيقة :

الفنيقة القرطبية تساوي 20 مداً نبويًا وتزن نصف قفيز من 60 رطلاً ، أي أنها تزن 30 رطلاً والفنيقة تعادل 21 مداً أو 28 رطلاً ، وإذا كان القفيز – 42 رطلاً وخضعت الأكيال والموازين لرقابة المحتسب .

المقاييس :

استخدم الزراع قياس الأطوال في الأندلس وأهمها هي :

1 - الذراع العادي :

وهو قدم ونصف ، وهو ست قبضات كل منها أربعة أصابع يساوي 3'74 سم ، وهناك أيضاً الذراع الرشاش ، ويعادل واحد وثلاث من الذراع اليدوي ، لأن الذراع اليدوي " العادي " يقابل ثلاثة أرباع رشاش " الرسمي " .

2 - الذراع الكبير :

يعادل 32 بوصة أي 56 سم ، ما يعادل ثلاث أشبار ونصف .

3 - الذراع المتوسط

ويعادل 24 بوصة أو 32 أصبع ، أي حوالي 8'41 سم وأستخدم الفلاحون الأندلسيون مقياس يسمى المربع ، وهو 40 ذراعاً رشاشاً وهو مقياس للأرض يعدل 2م500 ، واستخدموا العارضة ، وهي تساوي 10 أذرع رشاشية ، أما الباع فكان 4 أذرع .

وأجاز الفقهاء لمن كان بأرض بعيدة من السوق شراء الموزونات منهم جزافاً مثل رجل كان بأرض لا سوق فيها وبينه وبين الأرض التي فيها الأسواق مسافة القصر ، وليست لهم

موازنين ، ولا يعرفون أي شيء ، فيجوز شراء السمن واللحم منهم بغير ميزان ولا حزر ، ولا تخمين إذا عرفوا في الجراف المقادير التي تزيد الأثمان بزيادتها أو تنقص بنقصها .

وتكرر السؤال عن بيع الجراف هل لابد أن يكون المتبايعان عارفين بالحزر والتخمين أو لا يلزمها ذلك ، فإن قلتم لابد فهل ذلك فيما يباع جزافاً أم لا ، فإن قلتم في كل ما يباع جزافاً فهل يدخل في ذلك حرز الصوف والحديد والنحاس وكذلك اللحم يباع أكداً على بساط أو على حجر فهل يجتزئ بالنظر إليه بقصد القلة والكثرة دون ما فيه من الوزن أم لا ، فكان الجواب ، أن من شرط البيع العلم بالمقدار والعلم بالكيل والوزن والعدد ، وكل ما يوزن أو يكال يصح فيه الجراف ، وشروطه أن يكون المتبايعان عارفين بالحزر والتخمين وما جرت به العادة يبيعونه من غير وزن وهو مما اشتراه قبله ، فيقول هذا مثل ما اشتريت قبل هذا بكذا .¹

أما المبادلة بالمعيار المجهول ، فالمعيار المجهول إنما يقدر في البيع ، ويكون مانعاً في غير معاوضة المماثلة كمعاوضة المثلى بالنقود أو العروض ، وأما المثلى بمثله ، فليس من ذلك ، إذ لا جهل فيه ، ولا يخشى أحد المعوضين فيه من الغبن ، ولذلك نرى أهل الأندلس يقتسمون الزرع المشترك بقيمه مجهولة المقدار ، ولا يرتاب عاقل في أن الشريك الذي له ثمن يأخذ صحيفة من ثمان ، ويأخذ الذي له النصف أربعاً من ثمان ، وعلى هذه النسبة إن كل واحد من الأشراف توصل إلى حقه من غير أن يفوت عنده غير زيادة ، ولا يشك العقلاء أن المماثلة تحصل بالظرف الواحد الذي لا يختلف ملؤه ، وإن كان مجهول القدر ، كما يحصل بالمعلوم القدر ، فإذا اشترى الرجل من الرجل ما في وعائه من الطعام كل قفيز بكذا وكذا ففضل فيه ، فإنه لا يجوز له أن يشتريها جزافاً ، ولكن يكيلها بالمد وقد يشتري رجل طعاماً ويذهب به ثم يرجع مدعيماً أنه ناقص الكيل مثل رجل اشترى الطعام من رجل ، فأمر من يكيل له ، وحسب المشتري حتى استكمل ثم قال له البائع قبضت حقه فقال نعم ، فتوجه إلى بيته وادعى أنه ناقص عن تمام حقه عشرة أكيال ، واختلف فيما يكال ويوزن ، فما الموقف من سلف الدقيق وزناً ، وجرت بذلك العادة في المغرب والأندلس ، غير أن بعض العلماء منعه ، ورأى أنه لا يجوز إلا كيلاً ، وكان الجواب أن في المعاملات والبيوع ، والسلم تعتبر العوائد ، وما جرى به عرف كل موضع من كيل أو وزن ، فالتمر مثلاً كان المعروف فيها بالشرع الكيل .

¹ - الوثريسي ، احمد بن يحيى : المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والأندلس ، دار المغرب الإسلامي (بيروت ، 1982) ج 5 ، ص 91 .

ويكثر الوقوع في القرى والبوادي أن من أراد شراء طعام لا يكتاله من بئعه حتى يهز الصاع في كيله ويحركه بيده وأما غيره من جلبه وتريعه لا يعرفونه ، وهذه العادة لا تجوز لما فيها من الجهالة والغرر ، وصفة الكيل أن يمسك بيده على رؤوس المكيال ثم يسرحها ما أمسك المكيال فهو وفاؤه .

وسئل أحد الفقهاء عن حناط باع إلى رجل ثلاثة أرباع دقيق ونقده الثمن وقبض الدقيق وأتى به إلى منزله فوزنه فنقصه ثلاثة أرتال ، فقال البائع ، دفعت إليه حقه ، وكان الحكم أن القول قول المشتري مع يمينه لأنه ادعى العرف أن الحناطين ينقصوا الناس في الوزن ¹ .

ورأى أحد الفقهاء أنه ينبغي أن يكون الكيل في البلد واحداً كيل القفيز ، وكيل القسط ووزن الأرتال فيكون واحداً معروفاً قد عرفه الناس ، فكان قفيز قرطبة عشرة أصع والوسق ستة أفضة والخمسة الأوساق التي أوجب النبي فيها الزكاة ثلاثين قفيزاً وهو أدنى ما تجب فيه الزكاة حتى تكلف جهال ولاة السوق الزيادة فيه لخلطوا على الناس أمرهم ² وهناك من يشتري بوزن يكون فيه لسان الميزان قائماً مثل رجل اشترى الكتان أو غيره ، فيرغب في الوفاء فالذي يلزم المتبايعين في الوزن أن يكون لسان الميزان قائماً مستوياً في القيمة ، فما أرجح البائع للمشتري فهو طوع منه وإن أكره فلا يجوز لأنه يأخذ منه ما لاحق فيه ³ واشترى رجل بعض الفاكهة بعدد أو بوزن .

واشترى رجل حمل طعام أو كتان على أن فيه كذا وكذا قفيزاً ، ورطلاً فصدقه المشتري وعندما ذهب إلى منزله وجده ناقصاً ، ويحدث في القرى والبوادي أن الرجل يأتي فيشتري اللحم ، وعادتهم أنه يبيعون جزافاً ، وهم غير عارفين بحرزه وتخمينه .

¹ - المالقي ، عبد الرحمن بن قاسم الشعبي : الأحكام ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1992) ص 325 .

² - ابن سهل ، أبو الأصبع عيسى : الأعلام بنوازل الأحكام ، المركز العربي الدولي للإعلام (القاهرة ، 1981) ص 742 .

³ - المالقي ، الأحكام : ص 291 .

وتراوحت أثمان الدواب والرمك بين ثلاثين ، وخمسة وثلاثين متقالاً⁴ وقومت بعض البغال القرطبية كل واحدة منها بخمسمائة دينار ، وبيعت الأكسية والمناسج الصوفية الغالية بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار ، وخمسين متقال عبادية⁵ .

وتراوحت أثمان العبيد بين ، ثمن جارية بثمانية وعشرين متقال ، وبيعت جارية رومية لم تبلغ المحيض بأربعة وثلاثين متقال ، واشترت أمة سوداء بمائة متقال وإحدى وستين متقال ذهباً قرمونية .

أما أثمان المواد الغذائية التي بها عيش الناس فكانت متفاوتة فثمن المدى من القمح ستة دنانير ومن الشعير ثلاثة¹ وثمانين الخبز بين ربع دينار ونصف دينار في ثلاثين قرصاً من خبز قمح حسن العمل والطبخ كل قرص في رطل دقيق أما أسعار الملابس فتختلف حسب نوعها وجودتها ، وتتغير الأسعار في الأزمات الاقتصادية بسبب الأوبئة والمجاعات وبسبب القحط والسيول فينخفض المعروض ويقل الإنتاج أو يندم فترتفع الأسعار حتى تستعصي على الفقراء وتعوز الأغنياء ، وقد بلغ قفيز القمح بالكيل القرطبي متقال ذهب ، وتكررت هذه الأحداث مع كل مجاعة ، وأحياناً ، وأحياناً تزداد الأسعار بسبب عدم توافر السلع في المنطقة وإنما يجلب من منطقة أخرى

ب - الأسواق :

تعكس الأسواق الحياة الاقتصادية ونشاطها الزراعي والصناعي ، وقد تنوعت في الأندلس فهناك أسواق في الريف وأسواق في المدن .

فأقيمت الأسواق في القرى والحصون ، وتعقد بشكل دوري أسبوعياً ، فكان سوق قرية أندرش " من قرى المرية " يعقد يوم الخميس من كل أسبوع ، ويعقد سوق قرية شؤذر " من قرى جيان " يوم الثلاثاء أسبوعياً ، وذكر الإدريسي بعض الأسواق في قرى وحصون الأندلس مثل سوق قرية فيسانة ، وسوق حصن بكيران ، وسوق قرية برجة وسوق حصن قيشاطة ، وسوق

⁴ - ابن سهل ، الإعلام : ص 261 .

⁵ - الخشني ، قضاة قرطبة : ص 95 .

¹ - ابن بسام ، أبو الحسن علي : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، دار الثقافة (بيروت ، 1979) ج 1 ، ص 120 .

حصن أشر ، وسوق حصن القبذاق ، ووصفت هذه الأسواق بأنها " عامرة " و "مشهورة " وفي إقليم الشرف بإشبيلية قرى كثيرة " كل قرية عامرة بالأسواق².

ويباع في هذه الأسواق منتجات الفلاحين الزراعية والحيوانية وما يفيض عن حاجاتهم ، فيباع فيها بذور وزريعة الأرض ، ويباع فيها أنواع الخضر والفاكهة ، والأدوات التي يحتاجها البيت

الريفى والحقل مثل الحصير ، والقفف والغرابيل ، والفخار ، والأحبال ، والقذور ، والحطب وغير ذلك من خيرات الريف¹.

كما وجد سوق الدواب في الأرياف أو خارج المدن في الأرباض مثل ، سوق مرسية ، وسوق طليطلة ، وسوق دواب إشبيلية ، الذي يشرف عليه أمين يرجع إلى قوله عند الاختلاف في الأشياء ، ووجد في مآلقه أيضاً سوق الدواب ويشترط معرفة بائعي الدواب من التجار خوفاً من التدليس والغش وبيع دواب بها عيون مستترة كما وجدت كذلك في شاطبة وقرطبة خارج الأسوار ، ويراقب هذه الأسواق أعوان للمحتسب .

أما أسواق المدن فأغلبها مسقوف حتى لا تتعرض لعوامل الطبيعة من حر ومطر وبعضها مكشوف ، وهناك أسواق يومية في المدن يجتمع فيها التجار والباعة وأهل القرى القريبة من أسواق المدن ، ولا تخلو مدينة أندلسية من أسواق أسبوعية ، بجانب السوق اليومي ، فلمدينة قبرة سوق جامعة يوم الخميس ، ولمدينة قرمونة سوق جامعة يوم الخميس أيضاً ، وفي كل ربض من أرباض قرطبة سوق ، وفي كل ربض ما يكفيه من الأسواق والفنادق ولمدينة مآلقه أسواق جالبة كبيرة ، ومدينة بسطة ذات أسواق وتجارات عامرة أهلة ، ومدينة بليش ، تتبع مآلقه عامرة أهلة ضخمة الأسواق حولها ضياع كثيرة² ولمدينة المنكب أسواق عامرة كبيرة وكان لكل نوع من أنواع التجارة والصناعة مكان في السوق ، أو سوق خاص به ،

² - المقرئ ، نفح الطيب : ج 1 ، ص 159 .

¹ - ابن عبد الرؤوف ، احمد بن عبد الله : آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفسال (القاهرة ، 1955) ص 102 .

² - ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد ، رحلة ابن بطوطة ، دار صادر (بيروت ، 1964) ج 2 ، ص 187 .

فهناك سوق للحديد³ وسوق الخشابين ، وأماكن لبيع الخضروات والفاكهة والطيور والمجبنات والرقيق وغير ذلك مما يباع في الأسواق " فلكل تجارة شوارع وحوانيت معلومة لا يختلط قوم بقوم ، ولا تجارة بتجارة ، ولا يباع صنف بغير صنفه ، ولا تختلط المهن مع سائر الصناعات بغيرهم فكل أهل تجارة منفردون بتجارتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم .

ج - طرق التجارة :

1 - الطرق الداخلية

تصرف المحاصيل الزراعية والصناعية إلى أماكن تسويقها عن طريق طرق داخلية أو خارجية بواسطة الأنهار ولهذا مثلت الطرق الشريان الحيوي لجميع شئون الحياة وبخاصة التجارية منها.

أن طرق المواصلات الداخلية تواصلت وظلت الطرق القديمة مثل الطريق الذي يشق الأندلس من قادس إلى نربونة ، ومع زيادة العمران وعدد السكان أصلحت الطرق ، وشقت طرق جديدة ، ربطت معظم الأندلس ببعضها ونشطت حركة التجارة بين مراكز العمران الحضارية والريفية ، وتأثرت الطرق بحالة البلاد سلباً وحرباً¹ .

وقد تكونت شبكة كبيرة من الطرق البرية في طول الأندلس وعرضها ، وهي طرق محددة المراحل والمحطات حتى يستريح المسافر في الفنادق ، المخصصة لذلك فيأمن على نفسه لتوفر الماء والزاد والامن ، ولا يتزود أحد فيها ماء حيث سلك لكثرة أنهارها وعيونها وآبارها

³ - القاضي ، عياض بن موسى بن عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام مذهب مالك ، دار الحياة (بيروت ، د ، ت) ج 4 ، ص 418 .

¹ - ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي (بيروت ، 1975) ص 360 .

الطبيعية وربما لقي المسافر فيها في اليوم الواحد أربعة مدائن ومن المعامل والقرى ما لا يحصى وأغلب هذه المحطات تكون في الأرياف.

فمن محطات التجارة والمسافرين منزل بقرية عبله الواقعة على الطريق الممتد بين المرية ومالقه ، ومنزل بحصن مراد وحصن القليعة على الطريق بين قرطبة وإشبيلية ، وهناك عدة طرق منها طريق يخرج من قرطبة إلى تدمير ماراً بمحلات معلومة أهمها ، جيان ووادي آش ثم بجانة ولورقة ، وطريق من قرطبة إلى إشبيلية ماراً بقرمونه وطريق قرطبة وادي آش ثم بجانة ثم ألمرية ، وطريق يتجه من قرطبة إلى سرقسطة ويمر بقلعة رباح وشنترية ولورقة وبه مراكز ريفية كثيرة ، وطريق من قرطبة إلى طليطلة ماراً بمرسيه ، وهناك طريق ساحلي بين مرسية وبلنسية وبه قرية عصف ، وكثرت القرى في طريق إشبيلية لبله ، فيها قرية مور وقرية قرته ، وقرية طرويرة وطريق يصل بين قلसानة والجزيرة الخضراء ، وبه قرية بريد .

كما كانت هناك عدة قرى وحصون يبلغ عددها أربعة عشر طريقاً معظمها ينطلق من قرطبة وهكذا ساعدت هذه الطرق والمحطات في ربط أعماق الريف والبوادي بالحواضر والمدن وسهل تبعاً لذلك النشاطات الاقتصادية وأصبحت الطرق مشحونة بالمرافق التي يفخر بها أهل النواحي ، وانعكس ذلك على ازدهار القرى والحصون من عائدات التجارة ، وزين الفلاحون قراهم حتى ، حتى أصبحت في نهاية الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبوا العيون عنها .

وجهزت هذه الطرق بكافة ما يحتاجه المسافر من غذاء ، فيشتري ويبيع ، فليس في معمر الأرض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن أو أربعاً من يومه إلا بالأندلس ، وحيثما سار يجد الحوانيت في الفلوات والشعاري والأودية ورؤوس الجبال لبيع الخبز والفواكه والجبن واللحم والحوت وغير ذلك ، فالمسافر مثلاً من تدمير إلى قرطبة يسير ستة أيام في قرى متصلة وعمارات ومروج وأودية وأنهار وعيون ومزارع ، وكان المنزل في كل ليلة بقرية أهلة ، مما يزيد التأكد على نمو الحياة الريفية في الأندلس بشكل طيب .

2 - الطرق النهرية

كان للأنهار دور كبير بالأندلس في ربط الأرياف بالمدن الرئيسية ، وبخاصة لوقوع معظم حواضر الأندلس على الأنهار مثل قرطبة وأشبيلية وغيرها .

وزخرت مجاري الأنهار السابقة بالمراسي والمنازل والفنادق لراحة التجار والمسافرين ، مثل مرسى حصن القليعة على الضفة الوادي الكبير ويجاز إليه بالمراكب ومرسى طربشانة به منارات يسمح بمرور السفن ليلاً ، وكان لإشبيلية مرسى ملئ بالنشاط التجاري ، ودخلت السفن مرسى بلنسية ، وهناك مرسى مدينة سلطيش وشلب وأكشونية ، وهذا بخلاف الموانئ الجنوبية على طول الساحل من مرسى طربشانة إلى ميناء الجزيرة الخضراء في بحر الزقاق عبر قادمس بمناراتها الشهيرة .

وأقيمت على هذه الأنهار القناطر والجسور لربط ضفتي النهر وتسهيل انتقال التجارات فلمدينة أوريولة قنطرة على قوارب ، ويدخل إلى جزيرة شلب على المراكب شتاء ويخاض إليها

في الصيف ، وكانت الأخطار تتهدد البضائع المنقولة عبر الأنهار مما كان يدخلها ساحة القضاء والفتيا¹ .

3 - الطرق الخارجية :

مثلت الطرق الخارجية أهمية كبرى للأندلس لأن البحار تحيط بها من ثلاث جهات ، فهذه الطرق هي التي تربطها بالعالم حولها .

الطريق البري الرئيسي يبدأ من الأندلس إلى بلاد السوس الأقصى بعد عبور المضيق ، فيصل إلى طنجة ومنه إلى إفريقية إلى مصر ، ثم الرملة ثم دمشق ثم الكوفة فبغداد والبصرة ثم إلى الأهواز إلى فارس إلى الكرمان إلى السند ومنها إلى الهند والصين .

¹ - الوثنيري ، المعيار : ج 5 ، ص 258 .

وهناك طريق تصل بين المشرق والمغرب ثم الأندلس ، ويبدأ الطريق من بغداد إلى الأنبار ثم إلى هيت إلى الفرضة إلى الرصافة إلى الرقة ثم إلى دمشق إلى طبرية فالرملة فرجح فالرملة فالمنصف إلى وادي الرمل إلى قصر الدرق فالقوار فقايس فالقيروان ، وتبدأ رحلة الأندلسيين إلى المشرق بعد عبور مضيق جبل طارق إلى قصر مصمودة على ساحل البحر ومنه إلى سبتة ، والمسافة بين سبتة وتاهرت 50 مرحلة ، ومن تاهرت للقيروان 36 ، ومن القيروان لمصر 60 مرحلة ثم يتجه المسافر إلى الشام أو العراق أو الحجاز ، ويتأثر التجار بالتقلبات السياسية فيقابلون متاعب دفع الضرائب على كل دولة يمرون بها ، أو تسرق البضاعة .

الطريق البحري :

يعبر الأندلسيين من جزيرة طريف إلى قصر مصمودة إلى سبتة ثم إلى دانية ثم إلى جزيرة يابسة ثم إلى ميورقة ومنورقة فسردانية فصقلية فاقريطش ومنها للإسكندرية ، وأحياناً كان التجار يسيرون في طريق أطول ولكنه أكثر أمناً فتخرج السفن من الأندلس إلى ساحل المغرب الأقصى ثم ساحل المغرب الأوسط وتسير بحذاء الساحل الإفريقي وهي ترسو عند الموانئ المطلة عليها حتى تصل إلى خليج سرت ، وتأخذ بعد ذلك الطريق البري للإسكندرية أما إذا أراد المسافر الاتجاه ناحية المحيط الهندي فإنه يسير بحراً حتى الفرما ثم يعبرون الصحراء إلى القلزم ثم إلى مسقط في عمان إلى الهند أو الصين .

وكانت السفن تكتري بواسطة التجار ، ويتم تحديد مبلغ الإيجار وتعيين السلعة ووزنها أو كيلها واسم صاحب السفينة والمستأجر والطريق البحري الذي ستسلكه السفينة¹ وتتعرض السفن لأخطار كثيرة منها الرسوم الباهظة على التجارة أو إصلاح السفينة أو يتعرض التاجر لغضب مثلما حدث مع تاجرين من أهل الأندلس فغضب متولى الموضع رحلهم فطلبوا إليه أن يرد شيئاً منه فأبى ، وسجن تاجر آخر في الأندلس بسبب تجارته². أما العواصف فكانت تهدد التجارة بشكل كبير ، وتغرق السفن بمن فيها .

¹ - يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس : ص 540 .
² - المالكي ، ت 438هـ : رياض النفوس وطبقات علماء القيروان (القاهرة ، 1951) ج 2 ، ص 445 .

د - التبادل التجاري :

كان للأندلس علاقات تجارية وثيقة مع سائر العالم الإسلامي خلال عصر الولاة رغم تقلب الأحوال السياسية والاجتماعية ، فأصبحت مراسي المغرب تستقبل أهل الأندلس³ للتجارة في الثياب المطرقات القطنية والكتانية والحريرية⁴ وأغلب ما يحمله التجار المزروعات والمصنوعات⁵ .

ولم تنقطع رحلات تجار الأندلس إلى مصر ، فوفد الأندلسيون إلى مصر محملين بالقمح والشعير⁶ وكتان دائية وأردية بجانة ، وزيتون إشبيلية واستمرت علاقة تجار الأندلس مع بلاد المشرق فحملوا إليهم الأردية والكتان والزيتون والتين والسجاد .

شغلت المنتوجات الفلاحية والصناعية حيزاً كبيراً في المبادلات ، فصدر الأندلسيون التين المجفف من إشبيلية ومالقه وشلب ، وصدر إلى بلاد المغرب ومصر والشام والعراق والهند وصدر اللوز المالح إلى بلاد الروم وإفريقية ومصر ، وعمل الزبيب في الش وقرية شاط قرب المنكب ومالقه ، وصدر إلى مناطق عديدة من العالم الإسلامي وصدر القطن الأشبيلي إلى مدن إفريقية ، وصدر الحرير لبلدان المشرق ، وكذلك نبات الحلفاء الذي اشتهرت به لقتت وقرطاجنة ، كما صدر الزيت الأندلسي إلى الإسكندرية وإفريقية وبلاد الروم ، وحمل السكر إلى بلدان عديدة وصدرت المنسوجات الأندلسية مثل الديباج والأقمشة الكتانية ، إلى اليمن

ومكة ، وصدرت بلنسية الحلل الموشية إلى الشام والهند ، وصدرت البسط التنتالية ، من مرسية إلى بلاد المشرق والحبشة .

وصدرت مواد الصباغة مثل العصفور واللبلى والقرملز الى جهات عديدة لجودتها ، وحملت النباتات الطبية التي اشتهرت بها الأندلس إلى سائر البلاد ، وأهم هذه النباتات هي الجنطيانا والميعة ، والمصطكى ، وحملت أخشاب طرطوشة ويابسة إلى بلاد المغرب وإفريقية ،

³ - البكري ، المسالك والممالك : ص 55 .

⁴ - يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس : ص 542 .

⁵ - ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك : الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، 1966) ج 2 ، ص 553 .

⁶ - يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس : ص 542 .

لشهرة أخشاب الصنوبر والبقس الأندلسية ، وصدرت الأغنام والأبقار إلى بلاد المغرب وكذلك الجلود والصوف ، وفي المقابل صدرت المغرب إلى الأندلس الأصباغ والحبوب¹ .

أهم موانئ الأندلس التجارية :

تعددت موانئ الأندلس التجارية ، مما شجع على رسو السفن ، فانتعشت التجارة وزاد ذلك أن الأندلس حلقة وصل بين العالم الإسلامي وأوروبا ، وأهم هذه الموانئ هي :

بجانه : من الموانئ الرئيسية في الأندلس ، وقصدها الناس من كل وأب ، واستوطنوها لتوفر الأمن بها ، وطرطوشة محطة تجارية لتصدير البضائع واستقبالها ، ولمدينة تصنت ميناء يغادر منه التجار إلى إفريقية ، وكذلك تعتبر مدينة الجزيرة الخضراء مركزاً تجارياً هاماً للتبادل التجاري ، وبخاصة مع بلاد المغرب ، وتعتبر مالقه من القواعد التجارية التي تقصدها المراكب والتجار بكثرة لوفرة إنتاجها الزراعي ونشاطها الصناعي ، ووصلت منتجاتها إلى مصر والشام والعراق والهند والصين ، وكان مرسى إشبيلية يزخر بحركة تجارية دائبة ، فحمل الزيت منها إلى الإسكندرية والقطن إلى سحلماسة ، ووصفت بأنها ذات أسواق وبيع وأهلها مياسير وصدر منها جميع أنواع البضائع إلى مختلف البلاد على ساحل البحر المتوسط² .

¹ - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص81

² - يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس : ص544

الفصل الرابع

تطور النظام الإداري والاقتصادي في أواخر عصر

الولاية

أولاً . تطور النظام الإداري

ثانياً . تطور النظام الاقتصادي

أولاً - تطور النظام الإداري :

- التقسيم الإداري في الأندلس

قسم الأندلس إدارياً إلى مدن وكور ، وبدأ هذا التقسيم يظهر شيئاً فشيئاً خلال المراحل التي مرت بها الأندلس في عصر الولاة ، وقد تحدثت في الفصل الثاني والثالث من خلال تقسيم هذا البحث عن النظم الإدارية والاقتصادية بشكل مبدئي ومبسط ، لذلك سأحاول في هذا الفصل أن أتحدث عن النظم الإدارية والاقتصادية بشكل أكثر تفصيلاً لقد كانت المدن والكور وكلاهما مع الاتساع يشمل حوزاً واسعاً فيه أقاليم ، ومدن أصغر ، وقرى ، وحصون وضياع وهذا التقسيم لم يوجد إلا في الأندلس أما في المشرق فكانت المدينة لها خطة وأرباض وتتبع كورة ، وتقسيم المدن السابق في المشرق وجد في الأندلس في مناطق الثغور فقط ، أي أنها مدن عسكرية ذات أحواز ، وهذه المدن لها نظام مالي يختلف عن الكور¹.

وكان التقسيم الإداري الأندلسي محددًا بدقة ، فكل كورة محددة الأقاليم وما يتبعها من قرى وأحواز وأجزاء ، وما عليها من ضرائب وجبايات ، وكان الإقليم للوحدة المالية في نظر الدولة كما وضح من أقاليم قرطبة ، فالإقليم وحدة إدارية ومالية .

والأقاليم ليست متفقة في عدد القرى ، وإنما أساس التقسيم الزراعي ، فيعني بالري والأنهار والعيون ، وينظر إلى ما يغله كل إقليم ، ويحدد على أساس الجباية ، وكانت الأقاليم تزداد يوماً بعد يوم مع زيادة العمران والرقعة الزراعية وزيادة المدن ، وتفرق العرب والبربر في الأندلس .

وهكذا وضح أن المدينة هي أساس التقسيم الإداري في الأندلس سواء تحولت إلى كورة أو ظلت كما هي في الشرق والغرب ، لأن كور ومدن الجنوب مركز النقل ، وغلب على مدن وسط الأندلس أنها مدن ذات أعمال " أحواز " وفي أعمالها تقع مدن أخرى ذات أحواز .

وكان هناك تحديداً إدارياً للأجزاء التي يرويها النهر في المنطقة التي يمر عليها فإقليم نهر جلق من أقاليم سرقسطة نهره يسقي ما ورا فنطرة سرقسطة عشرون ميلاً ومخرج نهر جلق من جبال السيرطابين ، ثم يخرج من ناحية وشقة إلى سرقسطة ، وتقع في أبرة ، والجزء

¹ - أبو رميلة ، هشام : نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، دار الطباعة العربية (القدس ، 1980) ص 193 .

الأعلى من نهر جلق يروى من الصخيرة إلى منزل حسان إلى قنطرة سرقسطة عشرون ميلاً ومثله إقليم شلون وهو غربي سرقسطة ، ونهره يسقى من قرية قبانش وركله إلى باب سرقسطة 40 ميلاً وحكي بعض من يعرف نهر شلون أنه يعم بالسقيا 70 ميلاً .

وهذا يعني أن البلد مقسم إدارياً بشكل دقيق ، حتى أن مجاري الأنهار الطويلة مقسمة فيدخل كل قسم منها في حوز مدينة ، فنهر الوادي الكبير في زمام إشبيلية هو نهر أشبيلية وحوز قرطبة ، وفي جيان نهر جيان ، ومثل ذلك في بقية أنهار الأندلس .

مسح السمح بن مالك الخولاني لأرض الأندلس :

كان عمر بن الخطاب أول من قام بمسح الأرض المفتوحة ، ووضع الخراج عليها وحدث ذلك في أرض السواد¹ وبعده أصبح النظام الجاري في الفتوح المسح العام للأرض والرجال ، قبل تنظيم الضرائب ، حيث يحدد على أساس المسح الخراج والجزية ، ولم تشذ الأندلس عن هذا النظام .

أولى عمر بن عبد العزيز (99 ، 101 هـ) الأمصار المفتوحة اهتمامه ، فكان أول من أمر بتنظيم الأندلس ، فأرسل فقيهاً ورعاً هو السمح بن مالك الخولاني ، ومعه مجموعة من الجند القادمين المساعدين له في عملية تنظيم الأندلس وعندما وصل السمح إلى الأندلس أراد أن يأخذ الأراضي التي أقطعت لمن دخل الأندلس في فترة الفتح الأولى فرفض الفاتحون ذلك وسافر وفد منهم إلى الخليفة عمر في دمشق ، وشرحوا له وضعهم ، ورأى عمر بن عبد العزيز وثائقهم وسجلاتهم التي وقعها لهم موسى بن نصير ، واعترف لهم الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز السمح بن مالك بمنح ملكيات زراعية وإقطاعات من أراضي الخمس لأفراد الجيش الذين صاحبوه وقام السمح بإكمال مسح الأندلس إدارياً ، وفق ما سبقه إليه موسى بن نصير قبله ، لأن مهمة السمح في الأندلس إرسال تقرير وصفي عن الأندلس ، وان يصف أنهارها ، والبحر الذي يحيط بها ، وعليه أن يركز في الأساس على مسائل الاتصال البحري بين الأندلس والعالم الإسلامي ، وأن يقسم الأراضي المفتوحة عنوة ، والعطاء حسب مبدأ الخمس ، وأعطى الخليفة عمر بن عبد العزيز للسمح حرية التصرف ، وجعله مرتبطاً به مباشرة ، وعزل ولاية الأندلس عن ولاية إفريقية اعتناءً بأهلها واهتماماً بشأنها .

¹ - أبو يوسف ، يعقوب إبراهيم : الخراج ، المطبعة السلفية (ب ، ن ، 1352) ص 37 .

ومن خلال عملية المسح ميز السمح بن مالك بين أرض العنوة وأرض الصلح وحدد أرض الدولة ، فقام بتخميس قرطبة وما حولها وأرسل البعوث لتخميس بقية الأراضي التي كانت في حاجة إلى ذلك وأخرجت البطحاء المعروفة بالربض بقبلي قرطبة من الخمس ، وجعلته مقبرة للمسلمين .

ولم تنزل أموال الأحماس بالأندلس معلومة معمورة لبيت مال المسلمين مدة الأمراء فيها ، ثم دولة الأئمة من بني أمية فعمر بأسمائهم أيضاً إلى أن ثار الرؤساء في كل جهة وكثرت الفتنة بطول المدة واختلاف الدول والولاء . وأتم السمح بن مالك الخولاني مسح الأندلس ، ونظم بالفعل أرضها ، وميز الأرض التي فتحت عنوة فأعطى منها الإقطاعات ، واستفاد منها بيت المال ، وسار على نهج الأمراء والخلفاء من البيت الأموي ، فمنحوا الإقطاعات من أرض بيت المال .

أهم الأقسام الإدارية الأندلسية :

المدينة :

المدينة في الأندلس قسم إداري ، ولها أقسام واسعة ولها أحواز فسيحة ، وفيها مدن كبيرة وقرى وحصون ، فمدينة انجلترا يتصل عملها بعمل لاردة ، ولها مدن وحصون ، ومدينة طرطوشة لها ولاية عظيمة واسعة ، وبلاد كثيرة تعد في جملتها وأقاليم واسعة وحصون كثيرة ، ومدينة تطيلة أقصى ثغور المسلمين ، وباب من الأبواب التي يدخل منها أرض المشركين ، ومن مدنها طرسونة ، وأرنيط ، وفارة ، وناجرة ، ومدينة وشقة متصلة بأعمال انجلترا ولها معاقل وحصون كثيرة ، ومدينة سرقسطة لها معاقل كثيرة ، ويتبعها قلعة أيوب ولها أقاليم عدة ومدينة طلبيرة أقصى ثغور المسلمين ، ولها عمل واسع ، ومدينة شلون تسقي أربعين ميلا ومدينة فريش لها خمسة أقاليم ، ويتبع مدينة لاردة مدينة قريين وبلقير وإفراغه ولها حصون كثيرة .

فالمدن التي اعتبرت أقساماً إدارية ، هي مدن الثغور وهي طرطوشة وطركونة ولاردة وانجلترا ووشقة وتظليلة وسرقسطة ومدينة سالم وشننبرية وقوريه وقلمرية وشننترين وأشبونة وطلبظة وفريش وقلعة رباح وأكشونية .

وفيها مدن يزيد بعضها على بعض في المحل والجباية ، والارتفاع والولاية والقضاة والمخلفين على رفع الأخبار ويقال لأحدهم مخلف ، وليس بها مدينة غير معمورة ذات رستاق فسيح إلى كورة فيها ضياع عداد واسعة ، وماشية وسائمة وعدة ، وعتاد وكراع ، ونلحظ في المدن السابقة أنها في الثغور الشمالية والغربية وتقع على حوض نهر إبرة وما بين إبرة وتاجة وفي حوض نهر تاجه ، ثم ما بين المجرى الأدنى لوادي أنة ، وساحل المحيط وهذا التقسيم لمدن الثغور العسكرية يضمن السيطرة عليها وتعامل معاملة خاصة تراعي فيها ما تتعرض له من أخطار وغارات من نصارى الشمال .

الكورة :

الكورة هي كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قسبة ، أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ، فنسبت الكورة إلى حاضرتها مثل كورة إشبيلية ، وكورة استجة ، وكورة جيان وكورة ماردة ، وهناك كور لا تنسب لحاضرتها ولها حاضرة وقاعدة أخرى مثل البيرة وقصبتها قسطة ، وكورة مورور قصبتها قلب ، وكورة شذونة وحاضرتها قلشانة ، وأكشوبة وحاضرتها شلب ، وكورة قبرة وحاضرتها بيانة .

وأطلق مصطلح الكورة لأول مرة في عهد الوالي أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي عندما فرق الجند الشامي الذين دخلوا مع بلج بن بشر القشيري من دار الإمارة في قرطبة وأنزلهم بالكور على مثل منازلهم التي كانت في كور شامهم ، ففعل ذلك باختيار الجند الشامي فنزلوا في كور البيرة ، وجيان ، وبلجة ، وتدمير ، ورية ، وشذونة وإشبيلية .

ثم أخذ مصطلح كورة يتردد في عصر الولاية ، فحين اختلف أهل الأندلس اتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري على أن يدع ليحيى بن حريث كورة رية ، فتركت له طعمة وحينما نزل عبد الرحمن الداخل الأندلس تنادى الناس وتقدموا إلى كورهم وأخذ الداخل ينتقل من البيرة إلى كورة رية إلى شذونة إلى مورور إلى كورة إشبيلية مع تزايد العمران ،

واستقرار الأحوال في عصر الأمانة ظهرت أسماء كور جديدة مثل كورة مورر ، ولبلة ، وبلنسية وذكرت هذه الكور وقت الثورات ، فعندما ثار يوسف الفهري على الأمير عبد الرحمن الداخل كان عبد الملك بن عمر المرواني عاملاً بإشبيلية وابنه على كورة مورور ، فحشدا من قبلهما من أهل الكورتين وتوافى الحشدان ، فانهزم يوسف ، وتفرق أصحابه عنه ، وفي سنة 149 هـ — 766 م ثار سعيد اليحصبي المعروف " بالمطري " بكورة لبلة .

ولما ثار ابن حبيب الفهري سنة 163 هـ — 779 م جال العسكر في كورة تدمير ، وتقدم إلى كورة بلنسية ، ثم نمت مدن جديدة ، وأنشئت مدن وحصون وقلاع وقرى أخرى ، فزادت أعداد الكور ، مثل مرسية التي بناها الخليفة الناصر ، وكبرت حتى صارت قاعدة كورة وجدد الناصر مدينة طلبيرة وكبرت واصبحت لها حصون ونواح عدة وعمرت مآلقه وكبرت وأصبحت لها رساتيق ، وكانت بطليوس قرية صغيرة ثم عمرت واتسعت وأصبح لها عمل واسع ، وولاهها الناصر عماله وصارت مركز كورة .

أن عدد كور في الأندلس وصل ست عشرة كورة هي ، قبرة البيرة جيان تدمير بلنسية ماردة باجة لبلة قرمونة إشبيلية مورور شذونة الجزيرة الخضراء رية استجة قرطبة ثم زادت عدد الكور فبلغت تسع عشرة كورة هي البيرة إشبيلية شذونة استجة تاكرنا قبرة الجزيرة الخضراء لبلة أشونة مورور رية جيان بسطة تدمير بلنسية شنتب برية قلعة رباح أكشوبة باجة .

ولم يكن هذا التنظيم ثابتاً إذ دخلته التعديلات مثل اقتطاع حصن بلاي ، وأحوازه وحاضرة بيانة ، ومايلها من كورة قبرة ، وبجانب الكور وجدت ، العمالات المسندة للعمال بقرار من الخليفة وأهمها ، طرطوشة وطلبيرة ومجريط وانتيشة ومدينة الفرج وبربشتر وقصر أبي دانس وماردة وترجيلة ويابرة وشنترين .

ولم يشمل هذا التقسيم قواعد كبرى مثل بطليوس وطلبيلة وسرقسطة وبعد ذلك استحدثت كور جديدة مثل كورة باغة وأعمالها ، وكورة تدمير وكورة بجانة وكورة فريش وكورة فحص البلوط ، وصل عددها ثلاثين كورة وهي باجة بجاية باغة بسطة بلنسية ، بيانة

تاكرا تدمير الجزيرة الخضراء جيان رية شذونة شنت برية شنترين فريش فحص البلوط قرمونة قلعة رباح قنسرين لبله مارده مورور استجة إشبيلية أشبونة أكشوبة البيرة قرمونة طليطة .

الأقاليم :

قسمت الكور أو المدن إلى مدن أصغر أو نواح ، ولكل مدينة حوز أو ناحية حوز تدعي الأقاليم ، فالأندلسيون يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمياً ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم ، فإذا قال الأندلسي ، أنا من إقليم كذا فإنما يعني بلدة أو رستاقاً بعينه .

واختلف أعداد الأقاليم في كل كورة أو مدينة ، فكورة رية لها ثلاثون إقليمياً ، ولغرناطة نحو ثلاثة وثلاثين إقليمياً ولقرطبة خمسة عشر إقليمياً ولفريش خمسة أقاليم ولإشبيلية ثلاثة عشر إقليمياً ولتدمير سبعة أقاليم وللبله ثمانية أقاليم ولسرقسطة تسعة أقاليم وكورة الجزيرة لها أقاليم عدة وكورة بنسية لها أقاليم كثيرة متسعة وكورة مارده لها أقاليم عدة وكورة جيان لها أقاليم كثيرة وطرطوشة لها أقاليم متسعة ولمدينة طليطة ستة أقاليم ولمدينة أكشوبة عدة أقاليم ، ولكورة باجة أقاليم منها القصر وأورش .

وتختلف مساحة كل إقليم حسب تحديدها من قبل إدارة الدولة ، لأن كل إقليم محدد تحديداً دقيقاً بما يضم من قرى وحصون وأبراج ، فقد يتسع الإقليم ليشمل حوز مدينة بأكملها مثل إقليم لورقة ، وإقليم مرسية .

وكان الإقليم وحدة مالية وإدارية محددة يعين له الولاة والعمال من قبل الدولة للاهتمام به من كل الشئون ، ويتضح بأن الأقاليم منسوبة إلى العرب أو البربر أو لنوعية النبات المزروع فيها ، وهذا يعني أن المسلمين أحدثوا حركة مرانيه كبيرة شملت كل الأندلس ومثال أسماء الأقاليم العربية إقليم بني قاسم وإقليم بني مرة وإقليم زناتة البربرية وإقليم كنانة وإقليم البصل وغيرها .

ولما كان الإقليم ، وحدة مالية وإدارية فهو يحتوي على عدد محدد من القرى على عدد من القرى والحصون والأبراج ومثال ذلك إقليم قرطبة .

الفحص :

يعني الفحص في الأندلس كل موضع يسكن سهلاً أو جبلاً بشرط أن يزرع ، فكانت فحوص الأندلس بذلك مأهولة ففحص الفندون بكورة تدمير قليلاً ما يوجد مثاله في طيب الأرض وجودة نمو الزرع ، وفحص البيرة كان أطيب البقاع نفعة وأكرم الأرضيين تربة ، وفحص البلوط عبارة عن كورة خصبة واسعة ، وهناك فحوص أخرى في كور ومدن الأندلس نرصد منها :

فحص أرنوس : في أقصى الشمال في مدينة بربشتر

فحص الحمام : قرب مدينة يرقسطة

فحص كركي : قرب قلعة رباح

فحص مطرف : قرب مدينة وشقة

فحص البلوط : يقع بالسهل المنبسط الممتد في شمال غربي قرطبة

فحص الربض : بمدينة قرطبة ، وكان به سراق الجيش

فحص السراق : شرقي قرطبة

فحص اللج : إحدى محلات الطريق العسكري التي يسلكها الجيش في الصوافي والشواتي

فحص رعين :

فحص ارماط : محلة من محلات جيش الأندلس الذي يكمل فيه الجيش استعداداه ثم يخرج للغزو .

فحص المنية : هو فحص على نهر قرطبة

فحص البركة : في الثغر الأعلى جرت فيه وقائع بين المسلمين ونصارى الشمال

فحص الناعورة : محلة في طريق الجيش

وهكذا كانت فحوص الأندلس خصبة ، فأصبحت من مناطق الاستقرار البشري في الريف واتسع بعضها وكبر فسار إقليمياً مثل إقليم الفحص من أقاليم كورة طليبرة ومثله في كورة إشبيلية ، وبعضها الآخر مثل وحدة إدارية ومالية مثل فحص البلوط الذي تحول إلى كورة كبيرة .

الجزء :

سمي جزء لان الإبل تجزأ فيه بالكأ أيام الربيع فلا ترد الماء ، وكانت مدينة رباح لها عدة قرى ونواحي يسمونها أجزاء ويقوم مقام الإقليم منها جزء البكريين وجزء الفحميين وغير ذلك وعرف العرب نظام الأجزاء باستقراء ما ورد فيها مارس العرب في الكور التي نزلوا بها مثل إشبيلية وقلعة ايوب وما شابهها ، أما النواحي المزروعة فلا توجد بها أجزاء ، ويصدق على الأجزاء الحكم الإسلامي في أنها أرض مشاع للجماعة الإسلامية ، فلا يملكها أحد ولا يجبي

عليها أموال وكما نرى في أسماء الأجزاء نسب بعضها إلى مدن مثل قلبيرة ، وشاطبة ومدينة الزاب ونسب بعضها إلى أقوام مثل جزء مصمودة البربرية ، وبنو نمثيل ، وبعضها لمعالم جغرافيا مثل الساحل والإسناد ويرادف مصطلح الجزء ، مصطلح المجشر ، وهو يعني في الأندلس المرعى ، وكان عامراً مأهولاً ، ولكن يبدو أنه كان يملك للأفراد ، فقد وهب أرطباش القومس وهب لميون العابد المجشر الذي على وادي شوش وما فيه من البقر والغنم والبعير .

الخطط الإدارية في الأندلس :

الولاية في الأندلس :

يلزم الإمام أن يتخير ولاته وعماله لتعذر مباشرته لجميع الأمور لئلا يشتغل عن التدبير بأعظم من ذلك¹ ويراعي في الولاة الدين الوازع عن الجور والخيانة العائد وبالحما على الدولة والرعية ، والجمع بين الشدة واللين ، ويلزم الإمام أهل كل جهة من جهات بلده أن يفد عليه من خيارهم وعلماهم يستخبرهم عن حال الأمير والناس ، ويكسوهم ويصلهم كما كان عليه السلام يفعل ، فإذا وفدوا عليه انفرد بهم واحداً بعد وأحد حتى يقف على الحق من الباطل من أمر الناس وأمر ولاته وجميع أحوال عماله .

بدأ الاهتمام بسلوكيات العمال والولاة من نزاهة وأمنه لتحقيق العدالة في الإجراءات وتجنب ظلم الرعية ، وأضيف إلى النزاهة والأمانة ، الطاعة ، والولاء ، والإدارة الجيدة والتنظيم السليم.

وظهر في النصف الثاني من عصر الولاة في الأندلس تقسيم الأندلس تقسيماً واضحاً إلى أقساماً إدارية أكبرها الكورة وأصغرها الحصن أو القرية ، أن لكل من هذه الأقسام الإدارية ولاة " العمال " ويسمون في مدن الثغور القواد وكانوا ينوبون عن الخليفة في المناسبات وإدارة الكور عسكرياً ومالياً وإدارياً وأحياناً كان يتولى أفراد البيت الأموي ولاية الكور ، وكان يجمع للرجال الأكفاء أكثر من كورة أو مدينة .

ويسكن العمال في الحاضرة وكانت إدارتهم نموذج مصغر من الإدارة المركزية في قرطبة وكان العمال يرسلون الخليفة ويخبرونه بشئون مدنهم وكورهم ، ومن أهم المكاتب الموجودة في الحاضرة المكاتب المالية الخاصة بالخراج والجباية ، ويطلق على متولي هذا العمل الأمين

ويساعده المحصلون والمحاسبون ، ويخصم من هذه الأموال رواتب الموظفين والجنود ويرسل الفائض المستفيض إلى قرطبة .

وكان هذا العمل " أي ولاية البلدان " مدخلاً للثراء ، وكانت الهدايا تقدم إلى الخليفة ليعين وال على كورة ، ومعنى هذا أن الولاية ستعوض له هذه المبالغ ، وهذا ما جعل الولاة يظلمون الرعية ، وجرى العرف تسجيل الولاية في كتاب أو سجل من الأمير أو الخليفة ، وسمح بنو

¹ - يحي أبو المعاطي محمد عباسي ، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس : ص 339 .

أمية لبعض الأسر بتوارث مدن الثغر الأعلى ، وكان فساد العمال يغير في سلوك الرعية
ويسبب فساداً كبيراً في أمور الدولة وتردي أحوالها .

ثانياً – تطور النظام الاقتصادي :

أ – الحياة الاجتماعية :

تكون المجتمع الأندلسي في عصر الولاة ، من أعراق وعناصر سكانية مختلفة ، لعبت دوراً هاماً وخطيراً في صنع تاريخه والمشاركة بفعالية في صنع أحداثه ، فما كاد موسى بن نصير " ت 97 هـ ، 715 م " وطارق بن زياد " ت 102 هـ ، 720 م " يستكملان مهمتهما في فتح الأندلس والسيطرة عليه حتى بدأ العرب والبربر بالهجرة من بلاد إفريقية وغيرها من الولايات الإسلامية إلى الأندلس ، ويشهد على ذلك ما أورده المقرئ (1041 هـ ، 1631 م) في كتابه نوح الطيب حيث قال " وتسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالأندلس وسعة الغنائم فيها فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على ما قدروا عليه من مركب وقشر ، فلحقوا بطارق ، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهربوا من السهل ولحقوا بالجمال " .

وقد أحسن العرب معاملة من تعرضوا للبؤس والشقاء في عصر القوط الغربيين ، فنالوا على اختلاف طبقاتهم حقوقهم كاملة غير منقوصة في ظل الحكم الإسلامي ، فسمحوا لهم بزراعة الأرض على أن يؤدوا لهم خراجاً ، حتى أن كثيراً من الإسبان أنفسهم انقاد لحكم العرب طوعاً لأنهم وجدوا فيه العدل والتسامح الذي ينشدونه .

وبعد استتباب الوضع في الأندلس في أعقاب الفتح الإسلامي تنوعت عناصره السكانية من حيث الجنس والعقيدة والثقافة فهناك العرب البلديون ، وهم الداخلون الأوائل له أيام الفتح

والعرب الشاميون الذين جاؤوا للأندلس بعد ذلك من بلاد الشام ، بالإضافة إلى جماعة الإسبان المسالمة ، الذين اعتنقوا الإسلام وتحدثوا باللغة العربية ويضاف إلى ذلك المولدون وهم نتاج عملية التزاوج والاختلاط بين رجال العرب أو البربر ونساء الإسبان ، ونجد كذلك عنصر البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد ، أو الذين هاجروا من بلاد المغرب ، سعياً للاستقرار أو من أجل الحصول على الغنائم ، وأخيراً نجد طائفة الموالي واليهود وطائفة العبيد والصقالبة .

1 – العرب :

دخل العرب الأندلس على شكل موجات متتالية أو على شكل طوابع ، بالإضافة إلى الذين هاجروا إلى الأندلس من أهل الشام أو غيرهم ، بعد انتصار طارق بن زياد على القوط الغربيين في موقعة وادي لكة ، وإتمام المسلمين فتح الأندلس في عهد موسى بن نصير وولده عبد العزيز (ت 97 هـ – 715 م)¹.

كانت أول طالعة دخلت الأندلس طالعة موسى بن نصير في سنة (93 هـ ، 711 م) وعددها نحو ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر ، ثم دخلت طالعة أخرى تعدادها أربعمائة رجل من إفريقية إلى الأندلس مع الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة (97 هـ ، 715 م) وكان عرب هاتين الطالعتين من اليمانية ، فسموا بالبلديين ، أو أهل البلد لأنهم استقروا في بلاد الأندلس واعتبروا أنفسهم أهلها وأصحابها² .

بعد هاتين الطالعتين جاءت طالعة بلج بن بشر القشيري في سنة (124 هـ ، 741 م) وتألفت من عشرة آلاف ، ألفي مولى ، وثمانية آلاف عربي³ وقد عرفوا باسم الشاميين ، لانهم جاءوا من كور بلاد الشام المجندة ، وقد بدأ النزاع ينشب بينهم وبين العرب الشاميين ، منذ أن أنهى بلج مهمته في القضاء على ثورة البربر في الأندلس ، لأنهم أرادوا الاستقرار فيها وتحول هذا النزاع فيما بعد إلى نزاع العصبيتين القيسية واليمانية .

¹ – عبد البديع ، لطي : الإسلام في اسبانيا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (ب ، ن ، 1958) ص 18 .

² – أبو دياك ، محمد فياض : الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الكتاني (الأردن ، 1988) ص 220 .

³ – مكي ، محمود : تاريخ الأندلس السياسي ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، 1998) ص 65 .

وجاءت إلى الأندلس طالعة عربية أخرى من العرب الشاميين كانوا قرابة الثلاثين رجلاً بصحبة الوالي أبو خنار الحسام بن ضرار الكلبى (ت 130 هـ ، 747 م) وقد انقسم العرب فى

الأندلس إلى قىسية وىمنية ، وهما القبيلتان العربيتان الكبىرتان¹ وكانت القبائل اليمنىة تفوق قبائل العدنانىة المضرىة أو القىسىة ، وعاش العرب فى الأندلس فى أقطاعات واسعة لا يزرعونها ، بل يتركون أمر زراعتها للفلاحىن الصغار ، أو الإسبان والمولدىن ، حتى أن العرب كانوا فى الأندلس أشبه بالملوك ، وأحاطوا ضىاعهم بالقلع والحصون كقلعة أيوب بن حبىب اللخمى (ت 97 هـ ، 715 م) .

واستطاعت الجماعات العربىة أن تلعب دوراً هاماً وخطيراً فىما أصاب الأندلس من اضطرابات خلال فترة عصر الولاة ، وقىل فى ذلك " أنه لما اشتد قدم أهل الإسلام بالأندلس وتمام فتحها صرف أهل الشام وىرهم من العرب همهم إلى الحلول بها ، فنزل بها من جراثىم العرب وساداتهم ، جماعة أورثوها أعقابهم ، إلى أن كان من أمرهم ما كان² .

وقد أهملت المصادر التاريخىة الحدىث عن المذاهب والفرق الدينىة التى دخلت الأندلس مع العرب ، وعلى ما بىدوا فإن السبب فى ذلك يعود إلى عامل الاضطراب ، وتواتر الاحداث وانشغالهم عن إفرازات التباىن المذهبى بترتىب الأوضاع والتنافس القبلى .

2 – البربر :

أما بالنسبة لعنصر البربر، فقد امتازوا بالبساطة والسذاجة ، وكانوا قبل الفتح الإسلامى على دىن الوثنىة حتى دخول المسلمىن بلادهم ، وقد فتح لهم الدين الجدىد أبواب التحضر فساروا إلى جانب العرب ، وتمسكوا بمبادئ العقىدة الإسلامىة ، وكانوا بىجلون رجال الدين والمتصوفىن خاصة ، وىمىلون إلى تقدىس الأولىاء ، وقد لعبوا دوراً مهمماً فى فتح الأندلس وكان معظم عناصر الجيش الذى دخل به طارق بن زىاد للأندلس منهم³ وبعد وصول أنباة الانتصارات إلى أهل إفرىقىة ، سارع عدد من البربر بالدخول إلى الأندلس ، إما للغنائم أو

¹ - كحىلة ، عبادة : تاریخ النصرى فى الأندلس ، ط1 (ب ، ن ، 1993 م) ص 19 .

² - المقرى : نفح الطىب من غصن الأندلس الرطىب ، ج1 ، ص 290 .

³ - ستانلى ، لىن بول : العرب فى اسبانىا ، دار المعارف (القايرة ، 1960) ص 44 .

سعيًا للحصول على الراحة والاستقرار ، وقد كان البربر الداخلون إلى الأندلس ينتسبون على قبائلهم المختلفة مثل مكناسة وهوارة وغيرهما .

وقد انتشر البربر منذ دخولهم الأندلس في نواحيها المختلفة ، واختلطوا بالعرب البلديين وأصبحوا يشكلون معهم حزباً واحداً ، وكان لانتشارهم في نواحي الأندلس اثر عظيم في نشر

الإسلام في سائر أرجائها ، وفي الفتنة التي وقعت في الأندلس ، بين العرب البلديين والشاميين ، وقد لعب البربر دوراً حاسماً فيها ، وتحالفوا مع العرب البلديين ضد الشاميين الذين هزموهم في إفريقية ، لكي يتاح للبربر فرصة الانتقام منهم .

3 – الموالى :

يعد الموالى من العناصر التي أسهمت في صياغة النسيج الاجتماعي في الأندلس ، ودخل عدد كبير منهم مع طالعة بلج بن بشر القشيري (124 هـ ، 741 م) الذي تألف جيشه من ألفي مولى ، وثمانية آلاف من العرب ، وأصبحوا منذ ذلك الوقت يؤلفون حزباً هاماً وأنظم إليهم من كان بالأندلس من موالى بني أمية ، وكان أغلب الموالى من أهل المغرب الذين دخلوا في ولاء بني أمية أو عمالهم ، وقد زاد عددهم بعد سقوط دولة بني أمية بالمشرق وهروب عدد كبير منهم إلى إفريقية والأندلس ، حتى أنهم صاروا مع دخول عبد الرحمن بن معاوية (ت172 هـ ، 788 م) الأندلس ، ومخالفته اليمانية ، قوة كبرى غلبت قوة أهل الشام والمضرية كلها ، ونجحوا في تأسيس دولة بني أمية في الأندلس ، بسبب التفاهم حول الأمير عبد الرحمن الداخل¹ .

وقد دخل عدد من الإسبان في ولاء بني أمية بعد الفتح الإسلامي ، أمثال بنو قصي وبنو مرتين وغيرهم ، فأصبحوا موالى اصطناع طلباً للحماية الأموية لهم² ، وقد اعتمد بنوا أمية عليهم ، وقلدوهم مناصب في دولتهم ، لتفانيهم في خدمتها وإخلاصهم لها³ .

4 – المسالمة :

¹ – عويس ، عبد الحليم : العصبية القومية وأثرها في سقوط الأندلس ، دار المعرفة الجامعية (ب ، ت) ص 312 .

² – عبادة كحيل ، تاريخ النصارى في الأندلس : ص 30 .

³ – فهاوزن ، يوليوس : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبد الهادي (القاهرة ، 1958م) ص 472 .

أطلق مصطلح المسالمة على الإسيان الذين دخلوا الإسلام ، وكانوا قبل إسلامهم من طبقات شتى ، فمنهم العبيد ورقيق الأرض وغيرهم ، ويبدو أن سياسة العدل ، والتسامح التي سار عليها العرب في حكمهم للأندلس دفعت هؤلاء الإسيان إلى اعتناق الإسلام إما جرياً وراء مصلحة شخصية ، أو إيماناً صادقاً منهم بتعاليم الدين الإسلامي ، علماً بأن العرب لم يجبروهم على الدخول في الإسلام أو اعتناقه ، بل تركوا لهم حرية الاختيار دون إكراه أو إجبار وأصبح هؤلاء المسالمة في عداد الجماعات العربية الإسلامية ، ومعظمهم كانوا من

عبيد الأرض الذين وجدوا في الدين الإسلامي متنفساً لهم وقد اشتغل بعضهم بتربية الماشية والزراعة في الأرياف وصيد السمك وبعض التجارات الصغيرة ، يساعدهم على ذلك الحرية التي أطلقها المسلمون لهم ، مما أفسح المجال أمامهم للمشاركة بفعالية في الحياة الاقتصادية في هذه الفترة .

5 – المولدون :

ظهر المولدون نتيجة لزواج العرب والبربر من الإسيان لأن الفاتحين منهم تركوا نسائهم في بلادهم الأصلية وأقبلوا على مصاهرة الإسيان أهل البلاد ، فتزوجوا الإسيان وعاشروهن ، وعن طريق المصاهرة والمجاورة بين العرب والبربر وأهل الأندلس انتشر الإسلام في الأندلس ، فامتزجت دماء الفاتحين العرب والبربر بدماء أهل البلاد فنشأ عن ذلك جيل جديد من آباء عرب وبربر مسلمين ، وأمهات إسيانيات وسمي هؤلاء باسم المولدين وقد كان عبد العزيز بن موسى بن نصير (ت 97 هـ ، 715 م) أول من تزوج من إسيانية ، إذ تزوج من أرملة لذريق وسار على طريقه عدد كبير من رجالات العرب ، أمثال زياد بن النابغة التميمي ، وعيسى بن مزاحم ، الذي تزوج من سارة القوطية ، ابنة المنذ بن غطشه ، وقد احتفظ كثير من المولدين بأسمائهم القديمة أمثال بنو أنجلين وبنو شبرقة .

6 – العجم أو المستعربون :

ومن عناصر النسيج الاجتماعي في الأندلس العجم أو المستعربين وهم النصارى الإسيان الذين كانوا يعيشون المسلمين ، ويتكلمون اللغة العربية ، وظلوا متمسكين بدينهم وسموا لذلك بالمستعربين ، أو عجم أهل الذمة ، وقد تحدثوا بلغة خاصة ، أطلق عليها اسم " عجمية أهل

الأندلس " وهي خليط من الأيبيرين القديمة واللاتينية والعربية شكل المستعربون في الأندلس غالبية السكان في السنوات الأولى للفتح ثم أصبحوا أقلية في الصف الثاني ، أذا ما قورنوا بالمسالمة أو المولدين ، حيث عوملوا معاملة طيبة ، وحصلوا على حرية دينية لم يتمتعوا بها من قبل فأبقاهم موسى بن نصير على أموالهم وضياعهم ، لأنهم صالحوا المسلمين عليها مقابل دفع الجزية ولعلمهم هم الذين عرفوا من بعد بالأخماس ، وكان لهم رئيس يعرف باسم قومس أهل الذمة يعينه الحاكم الأموي ، ولهم قاض خاص يفصل بينهم في الخلافات ويسمى بقاضي العجم ، ولهم طقوس خاصة تسمى بطقوس المستعربين ، وقد ظهرت منهم شخصيات لعبت دوراً هاماً في تاريخ المسلمين في الأندلس مثل القومس أرطباس .

7- اليهود :

ونجد أيضاً اليهود الذين عانوا كثيراً من ظلم القوط واضطهادهم ، حتى أرغموا على ترك دينهم والتصر ، وقد سمع اليهود بتسامح المسلمين فعاونوهم في فتح الأندلس ، واشتغلوا معهم كإدلاء لهم ، وحراس على القلاع والمدن التي يفتحها المسلمون .

وقد لقي اليهود الدعم من المسلمين بعد الفتح ، فكانت لهم تجارتهم وأسواقهم ، ومارسوا طقوسهم وعاداتهم بحرية تامة ، ولم يصدر العرب بحقهم أية تشريعات خاصة ، بل تركوا لهم الحرية في التصرف ، وقد سكن اليهود في أحياء خاصة ، كانت تسمى حارة اليهود ، وكان لكل جماعة منهم مجموعة من المستشارين والوعاظ ، وقضاء خاص بهم ، ولم تتدخل الإدارة الإسلامية في شئونهم ، مما دفع الجماعات اليهودية إلى الإسراع في الانضواء تحت لواء المسلمين ، وقد اهتموا بأنسابهم وتفاخروا بهم وكان بعضهم ينسب نفسه إلى سيدنا موسى وداوود عليه السلام ، ويعود اهتمامهم بهذه الأنساب إلى تأثرهم بالعرب الذين يهتمون بها أكثر من غيرهم ، كما تكلموا وكتبوا باللغة العربية واستخدموا اللغة العبرية في أحيان أخرى ، واعتادوا أن يتخذوا اسمين أحدهما عبري والآخر عربي .

ولهم مجموعة من العادات الخاصة يستخدمونها في طعامهم يستندون فيها بزعمهم إلى تعاليم دينية ولهم عدد كبير من الأعياد أشهرها عيد رأس السنة العبرية وعيد المظلة ، أما الزواج

في الشريعة اليهودية فيلزم به جميع اليهود ونظرت شريعتهم للمرأة اليهودية نظرة احتقار ، وأن مهمتها فقط الإنجاب وهم يحرمونها من الميراث ، والزواج من أكثر من امرأة مسموح به في شريعتهم .

وفي العهد الإسلامي كان هناك مجلس في كل مدينة توجد بها طائفة يهودية يسمى مجلس الشيوخ ، كانت مهمته الإشراف على تنظيم الحياة اليهودية من مختلف النواحي ، وكانت غرناطة تشتمل على أكبر جالية يهودية ، حتى سميت بغرناطة اليهود حيث اشتهر اليهود فيها بالعلوم والترجمة والطب ، وترجموا كتب العرب إلى العبرية واللاتينية وظهر منهم الطبيب اليهودي حسداي بن شبروت .

8 – العبيد والصقالبة :

ومن عناصر المجتمع الأندلسي العبيد والصقالبة ، وهم الذين جلبوا من بعض مناطق أوروبا إلى الأندلس ، وعملوا حراساً وخدماء في المنازل مع بعض نساء العبيد ، وفي أثناء الحكم الإسلامي للأندلس عاشوا في وضع أفضل مما كانوا عليه في زمن إسبانيا القوطية ، لأن الإسلام حث على معاملتهم معاملة حسنة ، ودعا إلى عتقهم وتحريرهم وقد لعب هذا الخليط السكاني المتعدد الأعراق دوراً هاماً في صنع تاريخ الأندلس وخصوصاً في النصف الثاني من عصر الولاة في الأندلس ، وفي توجيه الصراع بين مكوناته العصبية وقد ظهر ذلك جلياً فيما نشب بين العرب والبربر من جهة ، وبين العرب أنفسهم من جهة أخرى ، لأن هذا الخليط السكاني حمل عصبية وآراءه المختلفة ودخل بها إلى الأندلس ، وظل يستجيب لها بين حين وآخر تحقيقاً لما رب خاصة بعناصره¹ .

ب – الحياة العلمية :

¹ - عبادة كحيلية ، تاريخ النصرى في الأندلس : ص 35 ، 39

أغفلت المصادر الحديث عن الحياة والمؤسسات والمراكز العلمية والتعليمية ، في فترة عصر الولاة ، وربما يعود ذلك إلى كونها فترة تأسيس وفتوحات ، وقد مورست بعض الأنشطة على نطاق شخصي ، أو في حدود ما تشهده المساجد عادة من نشاط تعليمي محدود .

وقد انعكست القلاقل والاضطرابات التي مرت بها الأندلس في هذه الفترة على جميع الأحوال فيها ، وقد تأثرت أحوال المسلمين بالإحداث التي مرت بها البلاد من بعد ، ولا سيما عندما توالى الاضطرابات فكان أن تركوا أراضيهم مما أدى إلى خراب تلك الأراضي فقلت الأقوات وانتشرت المجاعة وقل الخراج .

ج - الحياة الاقتصادية :

تعد المعلومات المتوفرة عن الحياة الاقتصادية في الأندلس بعد الفتح الإسلامي خصوصاً في النصف الثاني من عصر الولاة غير كافية لتكوين صورة واضحة عنها ، وذلك لأن المصادر الإسلامية التي تتناول هذه الفترة لم تفرد للأحوال والنشاطات الاقتصادية إلا حيزاً ضيقاً ومحدوداً ، وأهم النشاطات الاقتصادية في الأندلس خلال النصف الثاني لعصر الولاة هي

الزراعة :

تعتبر قاعدة الاقتصاد الأساسية في الأندلس ، وكانت الأراضي الزراعية نوعين هما ، الأرض الجافة التي تعرف بالأرض البعل ، والنوع الثاني من الأراضي المروية التي تعرف بأرض السقي ، وخصص النوع الأول من الأراضي لزراعة الحبوب ، بينما خصص الثاني من تلك الأراضي لزراعة المحاصيل التي تعتمد على الري ، وقد كان نظام الري في الأندلس متطوراً لاسيما في المناطق الشرقية من الأندلس ، وقد ورث العرب هذا النظام عن القوط بعد فتح الأندلس ، وقد كان الري يتم بواسطة شبكة من قنوات الري في إقليمي مرسية وبلنسية واشتغلت أعداد قليلة من العرب الفاتحين والبربر في فلاحه الأرض واستقرت فيها منذ سنوات الفتح الأولى ، وهناك قسم من العرب استقروا في بعض القرى والأرياف التي غنموها واشتغلوا بالأشرف على المزارعين من أهل البلاد مما أدى إلى الإسراع بعمارة الأرض بعد انتهاء فترة الفتح .

وتمثلت المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع بالأندلس ، بالقمح والشعير والذرة التي تعتمد على مياه الأمطار كما زرعوا الجزر ، وقصب السكر ، والزيتون ، والموز في مدينة أش كذلك اشتهرت الأندلس بزراعة الكروم في مناطق الزراعة البعلية .

ويتبارى الجغرافيون الأندلسيون في الإشادة بفواكه الأندلس وخيراتها ، مثل الكمثرى والكرز والتفاح ، واللوز والرمان ، وغيرها من المحاصيل التي كانت تزرع في مناطق الزراعة المروية في مدينة طليطلة وما جاورها واشتهرت الأندلس بزراعة الأعشاب العطرية ، مثل الكافور والمسك والزنجبيل ، والزعفران ، وبعض النباتات الأخرى مثل الكزبرة ، بالإضافة إلى اشتهارها بزراعة النباتات التي تدخل في صناعة الأقمشة ، والتي كانت تتم على نطاق كبير ، مثل الزعفران والقطن والكتان، كما اشتهرت بتربية دودة القز ، ولاسيما في المنطقة الواقعة بين مدينة غرناطة والبحر المتوسط .

وكانت منطقة الغابات في الأندلس تستغل لسد حاجات المدن من الفحم النباتي إذ كانت الأشجار تقطع لهذه الغابة من مدينة طرطوشة ، ولإستخدامها أيضاً في دعامات صواري السفن ، وزرع الأندلس شجر البلوط ، والبندق والجوز ، والفسق ، وزرع في الأراضي الفسيحة منها وخاصة في الجنوب الشرقي نبات الحلفاء الذي كان يستخدم في صناعة السلال وغيرها من الأدوات المنزلية المختلفة .

أما تربية الحيوانات فقد افرد الجغرافيون لها في أوصافهم حيزاً ضيقاً ، سواء تلك المستخدمة للركوب والجر أو التي يؤكل لحمها ، وكانت تربي الماشية كالأغنام ، والماعز ، وكذلك تربية النحل ، ووجد في الأندلس أنواع عديدة من الطيور مثل البزاة ، والغربان ، التي لكثرتها لا يستطيع أهل الأندلس تربية الدجاج بسببها .

أما عن الضرائب التي كانت مفروضة على الأرض الزراعية في الأندلس فيمكن القول إن أرض الأندلس لم تخضع في تقسيمها لما خضعت له بقية ولايات الدولة الإسلامية من حيث تحديد ارض الصلح والعنوة وبيان وضع هذه الأراضي من ناحية الجبايات .

ولم يستطع قادة الفتح أن يخمسوا من ارض الأندلس الا جزءاً قليلاً ، وقد استولى على أربعة أخماسها ، واعتبروها غنيمة ، وبقي الخمس ملكاً للدولة ، التي تركت فيه السبي يزرعونه لها ولكن بشرط أن يؤدوا من أموالهم الثلث للدولة ، وقد اعتبر هؤلاء زراع ارض الدولة وأطلق عليهم اسم الأخماس وأولادهم أولاد الأخماس ، أما الأراضي التي صالح أهلها عليها ، فقد اقرهم موسى بن نصير على أرضهم وأموالهم ودينهم ، ولكن بشرط أن يؤدوا الجزية عن أرضهم وزرعهم ، وبهذا تتقرر الأسس العامة التي جرت ، عليها شؤون الأموال في الأندلس ، وقد كان للاضطرابات الكثيرة التي وقعت بين العرب والبربر من ناحية وبين العرب أنفسهم من ناحية أخرى اثر عظيم في اضطراب الأحوال الاقتصادية في الأندلس في فترة عصر الولاة الثانية .

الصناعة :

لا نكاد نظفر في المصادر التي أرخت لتلك الحقبة بمعلومات ذات بال عن النشاط الصناعي في الأندلس ، لاسيما في هذه الفترة الثانية من تاريخها ، فنجد كتب الجغرافيين تمر عليه مروراً سريعاً ، دونما اهتمام ، فنراها تكتفي بالقول مثلاً " ولبة : هي مدينة صغيرة متحضرة عليها سور من حجارة وبها أسواق وصناعات " ¹ وبالرغم من ندرة هذه المعلومات ، فقد ازدهرت في الأندلس بعض الصناعات التي كانت تنتشر هنا وهناك ، وكان أهمها صناعة الآلات والأواني النحاسية ، والحديد ، ذلك أن الأندلس بلد غني بموارده المعدنية منذ أقدم العصور ، وكانت هذه الصناعات تتركز في المدن التي يتوافر فيها هذا المعدن ، خاصة في مدينة تدمير ، وكذلك عرفت الأندلس صناعة استخراج ملح الطعام على ساحل قادس

وصناعة قص حجر الرخام المعروفة منذ زمن الدولة الرومانية بالإضافة إلى صناعة التعدين عرف أهل الأندلس صناعة تجفيف العنب ، ووجد في الأندلس بعض الصناعات المتعلقة بالسفن التجارية مثل صناعة صواري المراكب التجارية التي اشتهرت بها مدينة طولوشة بالإضافة إلى صناعة السلال وغيرها من الأدوات المنزلية المصنوعة ، من نبات الحلفا في الأراضي الفسيحة من الأندلس ، وقد كانت المعادن تنتشر في الأندلس منذ القدم ، وأهم معادنها الذهب المستخرج من الرمال التي تحمل الذهب في بعض الأنهار ، وفي منطقة

¹ - الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق : ج 2 ، ص 539 .

تدمير ، بالإضافة إلى وجود معادن الفضة والزنابق والحديد والرصاص ، والنحاس والشب
والقصدير .

وقد مارس سكان الأندلس حرفة الصيد بواسطة شباك تصنع من خيوط واشهر الاسماك عندهم
كانت اسماك السردين وسمك التونة ، وكانت مدينة المنكب تشتهر بكثرة مصايد السمك فيها .

التجارة :

أما فيما يتعلق بالنشاط التجاري في الأندلس ، فقد كان في الأندلس مدن تجارية كثيرة في
الجنوب والشرق منها طليطلة وإشبيلية وغيرهما ، وعرفت الأندلس نوعين من التجارة هما
التجارة الداخلية التي كانت تتم داخل الأندلس بين المدن الأندلسية نفسها ، والتجارة الخارجية
التي كانت تتم بين الأندلس وبقية أنحاء العالم ، ويروى أن اليهود لعبوا دوراً هاماً في تنشيط
الحركة التجارية ، حيث اتخذهم ملوك القبائل الجرمانية التي استقرت في الأقاليم الغربية من
الإمبراطورية الرومانية موردين لهم فقد كانوا يسافرون من المغرب إلى المشرق براً وبحراً
يجلبون الخدم والجواري والغلمان والديباج والسيوف والخز وغيرها ويذهبون بها إلى السند
والهند ، فيبيعونها ويحملون منها المسك والكافور وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، وكان التجار
القادمون إلى الأندلس يشترون منها كل ما يحتاجون إليه من المحاصيل والبضائع التجارية
كالزعفران والزبيب والحريير والديباج وآلات النحاس وغيرها ، وحينما دخل العرب إسبانيا
كان البيزنطيون يتمتعون بالسيادة التجارية الكاملة على سواحل البحر المتوسط ، غير أن
العرب نافسوه عليها وانتزعوا أخيراً منهم .

د. الحياة العمرانية في الأندلس في عصر الولاة :

يعد عهد الولاة المسلمين في الأندلس عهد تأسيس وفتوحات ، وقد أهملت المصادر الحديث
عن الحياة العمرانية خلال هذه الحقبة التاريخية الهامة ، وربما تكون آثار المسلمين مجال

واسع للانفعال عن الفتوحات بتشيد القصور والمنشآت التي ورد الحديث عنها بشكل مختصر هنا وهناك ، في ثنايا المصادر التاريخية .

حينما أراد موسى بن نصير الدخول إلى الأندلس اصطحب معه عدداً من الصحابة والتابعين كان منهم الصحابي حنش بن عبد الصنعاني (ت100 هـ ، 718 م) الذي اشتهر ببناء المساجد ، فبنى مسجد سرقسطة ، وشيد مساجد أخرى في كل بلد تم فتحه .

وفي عهد الوالي أيوب بن حبيب اللخمي (97 هـ ، 716 م) تم بناء قلعة حصينة في جنوبي مدينة سرقسطة شمالي الأندلس ، سميت باسمه وأصبحت تعرف باسم قلعة أيوب وهي الآن مدينة كبيرة¹ ، ثم أن والي الأندلس ، السمع بن مالك الخولاني (100 هـ ، 102 هـ) كان قد تجمع لديه ، أثناء ولايته على الأندلس ، مبلغ من المال فاستشار الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يسمح له ببناء سور قرطبة وقنطرتها بعد ان تهدما فسمح له الخليفة بذلك فأقامهما على أحسن ما يكون .

وفي سنة (131 هـ ، 748 م) ثار في إقليم سرقسطة ثائر يدعى عامر بن هاشم القرشي وحينما أراد يوسف الفهري (142 هـ ، 759 م) القضاء عليه ، أقام في جهة الغربية من قرطبة حصناً منيعاً ليحتمي به ، أطلق عليه فيما بعد قناة عامر .

ويبدو إن قلة المعلومات عن النشاط العمراني في الأندلس في عصر الولاة تعود إلى انفعال المسلمين بالفتوحات عن النواحي العمرانية ، فقد شهدت الأندلس بعد عصر الولاة نشاطاً عمرانياً عظيماً على امتداد عصورها التاريخية المختلفة .

تنظيم فتح الأندلس :

إن فتح المسلمين للأندلس معجزة من معجزات الإسلام ، إذ لا يصدق المرء وهو يتتبع أخبار هذا الفتح أن معظم الذين كانوا يقومون به كانوا بربراً لم يسبق لهم عهد بالنظام ولا الجيوش

ولا المعاهدات ، كذلك لا يصدق أن تفتح هذه البلاد الشاسعة بهذه السرعة غير المتوقعة حتى أن بعض المؤرخين الأجانب ذكروا أن العرب لم يكونوا يبغون فتح البلاد كلها وجعلها جزءاً

¹ – ألفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، ب ، ت) ص 46 .

من الإمبراطورية العربية الواسعة ، وإنما كانت غايتهم القيام بغارات يحصلون منها على الفوائد الاقتصادية ، ثم يعودون من حيث أتوا ، إلا أننا رأينا أن مراحل الفتح قد تمت بدقة وتنظيم وأن سير الجيوش الإسلامية لم يكن مرتجلاً في أية من تلك المراحل ، وهذا يدل على أن فكرة الفتح الشامل للأندلس كانت موجودة بالفعل منذ البداية لدى العرب¹ لقد أدى فتح المسلمين للأندلس إلى تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والإدارية والدينية في الأندلس ونتج عن كل ذلك نتائج مهمة هي :

أ – فمن الناحية السياسية كسب المسلمون إقليماً جديداً أضافوه إلى رقعة دولتهم الواسعة وحققوا كسباً جديداً لدعوتهم ورسالتهم ولمواردهم وبذلك صار المسلمون سادة البلاد وحكامها والمتصرفون في شئونها العليا وتلك هي عادة المسلمين وسلوكهم مع الأقاليم التي يفتنونها

كما أن الفتح الإسلامي للأندلس غير حال أهلها بوجه عام ، فقد أزال الحكم القوطي وآثاره عن تلك البلاد ، ولم يبقى للقوط شوكة تذكر ، إلا فريقاً معتصماً في جبال جليقية في الشمال الغربي ، وقد آلت ممالكهم ومعظم أحوالهم إلى المسلمين الفاتحين ، وأبقى المسلمون على بعض الذين أعانوهم من حكام القوط فثبت " يوليان " في حكم مدينة سبتة ، وردت إلى أبناء " غطشه " أموالهم وضياعهم .

ب – أما من الناحية الاقتصادية فإن المسلمين خفضوا من الأعباء الضريبية الثقيلة التي كانت تفرض على الطبقات العاملة في الزراعة والصناعة والتجارة ، فألغيت الضرائب الفادحة وفرضت الجزية على غير المسلمين ، وقدر الخراج على الأرض ، وهو يتوقف على ما تنتجه الأرض فعلاً ، ولذلك لم يكن عبئاً على الزراعة ، وبذلك صار المزارعون والعبيد الذين يعملون في الأرض التي انتقلت إلى المسلمين أحراراً يستأجرون الأرض أو يعملون فيها ويدفعون جزءاً من غلتها إلى المسلمين ، وقد نتج عن ذلك ازدهار جميع أوجه النشاط الاقتصادي ، وعاد على الشعب بالرخاء والرفاهية متمثلاً في عدالة التوزيع على العاملين في حقول الزراعة حسب مجهود كل إنسان وطاقته .

¹ – علي حسين الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 63 .

ج — ومن الناحية العسكرية نجد أن قوات المسلمين قد قضت على معظم القوات العسكرية للقوط التي كانت تعضد النظام السياسي المتسلط والاقتصادي الجائر ، الذي كان يحتفظ للنبلاء والكنيسة بامتيازاتهم ، وقد أنزلت القوة العسكرية الإسلامية حسب البلاد القادمة منها في مختلف أرجاء الأندلس لتوطيد الأمن وسحق أية فتنة أو ثورة .

د — وفي المجال الديني اتبع العرب الفاتحون سياسة التسامح الديني وحرية العبادة مع سكان الأندلس ، ولهذا فقد دان بالإسلام عدد كبير من أهالي الطبقات الدنيا عن إيمان ثابت وبذلك تخلصوا من عسف وجور حكم القوط ورجال الدين والكنيسة .

هـ — ومن الناحية الإدارية قسمت الأندلس في العصر الإسلامي إلى أربع ولايات كبرى يعين لكل واحدة حاكم مسئول أمام والي الأندلس عن إدارة شئون ولايته ، أما والي العام للأندلس فكان تعيينه في البداية من قبل والي إفريقية وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية أضيفت ولاية خاصة شمال جبال البرنيه .

وإذا ما انتقلنا إلى الوضع الاجتماعي فأنا نجد أن الفتح الإسلامي للأندلس قد حقق أثراً عظيماً في هذا المجال فقد أحسن العرب معاملة الرقيق الذين حل بهم البؤس والشقاء قديماً وكسبوا في عهد العرب كثيراً من حقوقهم المدنية وكان هم العرب منصّباً على توطيد السلام بين الأجناس المختلفة من السكان ، ولذلك انقاد السكان لحكمهم لما وجدوا فيه من تسامح كانوا ينشدونه ، وعاملوا اليهود الذين ذاقوا الذل والهوان في حكم القوط معاملة حسنة ، فقد سمحوا لهم بمزاولة التجارة وأمنوهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، وسمحوا لهم بحرية الملكية وأشتغل العديد منهم بالعلوم والآداب وقد نبغ بعضهم في عدد منها .

وقد نتج عن الفتح الإسلامي للأندلس تغيير شامل في الوضع الاجتماعي جعل الفرد يشعر بقيمته وبقيمة غيره وكرامته فقد أثار الفتح الإسلامي العقول بما يحمله من قيم إسلامية إنسانية وحضارية سامية ، وفتح العيون بمبادئه التي تشرع حقيقة الحياة ووضع أحقية كل فرد في الحصول على جزاء كده وعرقه في الحياة الكريمة .

وبذلك كان الفتح الإسلامي للأندلس بشير خير وبركة عليها وانتشالاً لها مما كانت تتردى فيه من الذل والهوان وانتهاك كرامة الإنسان فقد اعترف بذلك المنصفون وأشبه المنصفين من المؤرخين والكتاب الغربيين¹.

¹ – علي حسين الشطشاط : تاريخ الإسلام في الأندلس ، ص 66 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً . المصادر العربية :

- 1 — ابن الأبار ، محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي
الحلة السيرة ، دار المعارف (القاهرة ، 1958 م)
- 2 ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد
الإحاطة في أخبار غرناطة (القاهرة ، 1956)
- 3 . ابن الفقيه ، أحمد بن محمد بن أسحاق الهمداني
البلدان ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض ، 1996)
- 4 . ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر
تاريخ افتتاح الأندلس ، دار النشر للجامعيين ، (ب ، ت)
- 5 — الإدريسي ، الشريف محمد بن محمد بن إدريس
نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، عالم الكتاب (بيروت ، 1989)

6 – الإشبيلي ، أبو الخير

الفلاحة (فاس ، 1357)

7 – الاضطخري ، ابن إسحق إبراهيم بن محمد الفارسي

مسالك الممالك ، ط3 (ب - ن) ، (ب ، ت)

8 – ابن بصال ، عبد الله محمد بن إبراهيم

كتاب الفلاحة ، (تطوان ، 1955)

9 . ابن بسام ، أبو الحسن علي

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، دار الثقافة (بيروت ، 1979)

10 – ابن بشكوال ، خلف بن عبد الملك

الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة ، 1966)

11 – ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد

رحلة ابن بطوطة ، دار صادر (بيروت ، 1964)

12 – ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل

صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت ، 1938)

13 – ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف

المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، دار الكتاب العربي (بيروت ، 1975)

14 – ابن خرد اذبة ، عبيد الله بن عبد الله

المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية (ب ، ت)

15 . ابن رشد ، أبي الوليد محمد بن أحمد ابن رشد

البيان والتحصيل ، مطبعة مصطفى الحلبي (ب ، ن ، 1950)

16 – ابن سهل ، أبو الاصبع عيسى

الإعلام بنوازل الأحكام ، المركز العربي الدولي للإعلام (القاهرة ، 1981)

17 – ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن

فتوح أفريقية والأندلس (الجزائر ، 1961 م)

18 – ابن عبد الرؤوف ، أحمد بن عبد الله

آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفسال (القاهرة ، 1955)

19 . ابن عبدون ، أحمد عبد الله الالتحفي

قضاء الحسبة ، تحقيق ليفي بروفسال (القاهرة ، 1955)

20 – ابن عذاري ، أبو العباس احمد بن محمد

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج2 ، الدار التونسية للنشر

(ب ، ن ، 1968 م)

21 – ابن عمر ، يحيى الأندلسي

أحكام السوق ، الشركة التونسية للتوزيع (تونس ، 1975)

22 . ابن غالب ، محمد بن غالب الأندلسي

فرحة الأنفس ، مجلة معهد المخطوطات العربي (القاهرة ، 1900)

23 . ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم

الإمامة والسياسة ، نشره دون خوليان ريبيرا (مدريد ، 1926)

24 . أبو يوسف ، يعقوب إبراهيم

الخراج ، المطبعة السلفية (ب ، ن ، 1352)

25 . البكري ، عبد الله بن عبد العزيز

المسالك والممالك ، تحقيق البارون ماك جوكين (الجزائر ، 1840)

26 — الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي

معجم البلدان ، دار الكتب العلمية (بيروت ، 1990)

27 — الحميري ، محمد عبد المنعم

الروض المعطار في أخبار الأقطار ، ترجمة ليفي بروفنسال (القاهرة ، 1937م)

28 — الخشني ، محمد بن الحارث بن أسد القيرواني الأندلسي

قضاة قرطبة ، دار الكتب الإسلامية (القاهرة ، ب ، ت)

29 – دمشقي ، شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (طبعة ليبزغ ، 1923)

30 – الزهري ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر

الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق (ب ت ، ب ن)

31 – السقطي ، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد

آداب الحسبة ، تحقيق ليفي بروفنسال (باريس ، 1931)

32 – العذري ، أحمد عمر بن أنس

ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية (مدريد ، 1965)

33 – القاضي ، عياض بن موسى بن عياض

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، دار الحياة (بيروت ، د ، ت)

34 – المالقي ، عبد الرحمن بن قاسم الشعبي

الأحكام ، دار الغرب الإسلامي (بيروت ، 1992)

35 – المالكي ، ت 438 هـ

رياض النفوس وطبقات علماء القيروان (القاهرة ، 1951)

36 – القرشي ، يحيى بن آدم

كتاب الخراج ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ، ب ، ت)

37 . القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن عبدالله

صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ، دار الفكر (القاهرة ، 1987)

38 – المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله البشاري

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1991)

39 – المقرئ ، شهاب الدين ابو العباس

نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، (القاهرة ، 1942)

40 . المراكشي ، عبد الواحد بن علي التميمي

المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة السعادة (القاهرة ، 1949)

41 . الونش ريسي ، أحمد بن يحيى

المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس ، دار الغرب

الإسلامي (بيروت ، 1982م)

42 — اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب

البلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر (بيروت ، 1883)

43 — بن سعد ، عريب

تقويم قرطبة ، نشر دوزي (ليدن ، 1873)

44 . مجهول ، مؤلف

أخبار مجموعة في فتح الأندلس ، الأكاديمية التاريخية الملكية (مدريد ، 1867)

ثانياً . المراجع العربية :

1 . أبو دياك ، محمد فياض

الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الكتاني (الأردن ، 1988)

2 . أبو رميلة ، هشام

نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية في الأندلس ، دار الطباعة العربية

(القدس ، 1980)

3 . ألحجي ، عبد الرحمن على

التاريخ الأندلسي ، دار القلم (بيروت ، 1981)

4 . الخطيب ، محمد محمد عبد القادر

دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة ، 1990)

5 . الدغلي ، محمد سعيد

الحياة الاجتماعية في الأندلس ، دار أسامة (الاردن ، 1984)

6 . الشطشاط ، على حسين

تاريخ الإسلام في الأندلس ، دار قباء الحديثة (القاهرة ، 2009)

7 . الصوفي ، خالد

تاريخ العرب في الأندلس ، دار النجاح (بيروت ، 1971)

8 . العبادي ، أحمد مختار

دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية

(الإسكندرية ، 1968)

9 . الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف

تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة ، ب ، ت)

10 . بشتاوي ، عادل سعيد

الأندلسيون المواركة ، مطابع انترناشيونال برس (القاهرة ، 1983)

11 . حسن ، إبراهيم حسن

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج1 ، مكتبة النهضة

المصرية (القاهرة ، 1996)

12 . حسين ، حمدي عبد المنعم

التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين ، دار المعرفة

الجامعية (القاهرة ، 1997م)

13 . دويدار ، حسين يوسف

المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، مطبعة الحسين الإسلامية ، (القاهرة ، 1994)

14 . دياب ، محمد

تاريخ العرب في إسبانيا ، ج1 (القاهرة ، 1914)

15 . ذو النون طه ، عبد الواحد

الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس ، دار الرشيد للنشر

(دمشق ، 1982)

16 . زيتون ، محمد محمد

المسلمون في المغرب والأندلس ، دار الكتب (القاهرة ، 1990)

17 . سالم ، السيد عبد العزيز

تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، دار النهضة العربية (بيروت ، 1981)

18 . شاكِر ، محمود

أعلام وقادة الفتح الإسلامي ، دار أسامة للنشر (عمان ، 2010)

19 . طرخان ، أبراهيم على

دولة القوط الغربيين ، دار المعارف (القاهرة ، 1958)

20 . عباسي ، يحيي أبو المعاطي محمد

الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه (القاهرة ، 2000)

21 . عبد البديع ، لطفي

الإسلام في إسبانيا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (ب ، ن ، 1958)

22 . عبد الحميد ، صبحي

معارك العرب الحاسمة ، مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت ، 1980)

23 . على ، سيد أمير

مختصر تاريخ العرب ، دار العلم للملايين (بيروت ، 1967)

24 . عنان ، محمد عبد الله

دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي (القاهرة ، 1997م)

25 . عويس ، عبد الحلیم

العصية القومية وأثرها في سقوط الأندلس ، دار المعرفة الجامعية (ب ، ت)

26 . كحيلة ، عبادة

تاريخ النصارى في الأندلس ، ط1 (ب ، ن ، 1993 م)

27 . مؤلفين ، مجموعة

دراسات في الحضارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، 1985)

28 . مؤنس ، حسين

فجر الأندلس ، دار المعارف (القاهرة ، 1959)

29 – مؤلفين ، مجموعة

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، دار الكتاب الجديد المتحدة (بيروت ، 2000)

30 . محمود ، منى حسن

المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة ، دار الفكر العربي (القاهرة ، 1986)

31 . مكي ، محمود

تاريخ الاندلس السياسي ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ، 1998)

ثالثاً . المراجع الأجنبية المترجمة :

1 . أرشي بالد ، لويس

القوى العربية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى

(القاهرة ، 1959)

2 . جيوم ، الفرد

تراث الإسلام ، لجنة النشر للجامعيين مكتبة الآداب ومطبعتها (القاهرة ، 1983)

3 . ستانلي ، لين بول

العرب في اسبانيا ، دار المعارف (القاهرة ، 1960)

4 . فلهاوزن ، يوليوس

تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمة محمد عبد الهادي

(القاهرة ، 1958 م)

5 . كولان ، ج . س

الأندلس ، دار الكتاب المصري (القاهرة ، 1980)

رابعاً . الموسوعات :

1 . دائرة معارف الشعب

كتاب الشعب ، مطابع الشعب (القاهرة ، 1959)

خامساً . الرسائل الجامعية :

1 . أشتيوي ، أشرف يعقوب أحمد

الأندلس في عصر الولاة (91 ، 138 هـ) ، (711 ، 756 م) ، جامعة

النجاح الوطنية ، (فلسطين ، 2004 م)

2 . عباسي ، يحيى أبو المعاطي محمد

الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب والأندلس ، كلية دار العلوم (القاهرة ، 2000

(

Abstract

Muslims opened Andalusia and remained there for more than eight centuries, leaving during that period their political, economic, social and cultural imprint

In this study we discussed the Arab conquest of Andalusia, and through this we mentioned the real reasons behind this conquest and the factors that helped it. As I mentioned its introductions and stages and its results, I also noted that the Arab conquest of Andalusia was normal. All of which I mentioned in the first chapter I wanted to be a preliminary chapter for the rest of the study

In the second chapter of this study, I spoke in detail about the administrative systems that preceded the entry of Muslims into Andalusia, such as the Roman administrative system and the Roman administrative divisions, and how the new invaders took the forms of these divisions and walked on them with some minor modifications. The administrative systems during the era of governors in Andalusia, as they did not change any of those organizations that preceded their entry but simple things, but they walked on those administrative divisions as did the Goths before them, also in this context I talked about the administrative divisions in Islamic sources during the era of the rulers in Andalusia

We have seen in this regard how Muslims were able to organize the affairs of the country despite the short period of time of the era of the governors and took the agriculture to rise and flourish and Arab Muslims were able to prove their presence in the fields of industry and trade, both within Andalusia or foreign trade exchange

When I talked about the development of administrative and economic systems in the second half of the era of governors in Andalusia, the administrative systems and the gradual development that happened to them at the hands of the first governors and then gradually mature until it became clear in the late era of the governors before entering

Abdul Rahman Ibn Muawiyah "Inside" I also talked about the evolution of the economic system in all its aspects, which emerged clearly in the late era of the governors in Andalusia

:The main findings of this study can be summarized as follows

First: This era represents the historical basis of all Andalusian studies and research, because of the effects that remained effective in the subsequent events

Secondly, the distance from Andalusia to the Caliphate House in Damascus led to an administrative laxity that often led to incorrect decisions by some governors, not to mention some of them were mismanaged. Perhaps what Omar bin Abdul Aziz did in the year 99 AH,) Was the most important intervention by the House of Caliphate in Andalusia

Third, the Muslims' preoccupation with their tribal and ethnic differences led to the weakening of their chastity and enticed their enemies, which was preceded by their subsequent desolation by the Spanish resistance, whose strength was growing day after day, taking advantage of these differences and divisions that prevailed in .Andalusia in this early age of Islamic existence

Fourthly, this era was not as sterile as it was imagined by some historical sources. It witnessed a number of achievements at the administrative and financial levels, in addition to the conquests and military activities and the required construction of buildings, such as castles and forts

Fifthly, the researcher can not ignore the role of the population that resulted from the Islamic conquest. It played an important role and participated actively in all the .activities and events that hit the Muslims at the time

Sixthly: The preoccupation of the Umayyad caliphate with its internal affairs and its conflict in its last days with the Abbasid state led to the neglect of the Andalusian country and to its preoccupation with those disputes and conflicts that afflicted it at .the end of its era



Administrative and economic systems in the era of governors in Andalusia

(95-138 e / 714-756 m)

**By:
Abdul Ghani Ramadan Faraj**

**supervisor :
Dr . Habib Ezzeddine**

**This thesis is an update of the requirements for obtaining
a master's degree in Islamic history**

University of Benghazi

college of Literature

NOVEMBER 2017